

الدكتور محمد بو الروايح

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية  
كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية  
الجزع المشترك ل. م. د

مطبوعة مقدمة لطلبة السنة الأولى ل. م. د.  
علوم إسلامية

# مادة: تاريخ الأديان

إعداد: الأستاذ الدكتور محمد بو الروايح

إعداد : الأستاذ

2

مادة: تاريخ الأديان

الدكتور محمد بو الروايح

السنة الجامعية 2013-2014

الدكتور محمد بو الروايح

## مدخل إلى دراسة تاريخ الأديان الدين والدراسات المتعلقة بها.

تمهيد

مفهوم الدين.

النظريات المختلفة في تفسير نشأة الدين.

مفهوم الدين

إذا تجاوزنا الاختلاف الحاصل بين العلماء والباحثين في التعبير بالدين، أو بالظاهرة الدينية عند تناول المسألة الدينية- كما أشرت إلى ذلك آنفاً- وتواضعنا تبعاً لذلك على أنه لا مشاحة في استخدام أحد المصطلحين في الدراسة فإنه يمكن أن نعرّف الدين أو الظاهرة الدينية تعريفاً لغوياً ثم نقفي على ذلك بتعريف اصطلاحي من أخص ما يميزه أنه ليس واحداً بيقين نظراً لاختلاف مفهوم الدين وطبيعته باختلاف الملل والنحل والمذاهب والمشارب، وهي ضرورة تحتمها الدراسة الموضوعية للدين أو الظاهرة الدينية ولا أجد بداً في تعريف الدين من الاستعانة بما ذكره محمد عبد الله دراز بقوله: "... والواقع أننا إذا نظرنا في اشتقاق هذه الكلمة ووجوه تفسيرها نرى من وراء هذا الاختلاف الظاهر تقارباً شديداً، بل صلة تامة في جوهر المعنى، إذ نجد أنّ هذه المعاني الكثيرة تعود في نهاية الأمر إلى ثلاثة معانٍ تكاد تكون متلازمة بل نجد أنّ التفاوت اليسير بين هذه المعاني مردّه في الحقيقة إلى أنّ الكلمة التي يراد شرحها ليست كلمة واحدة، بل ثلاث كلمات، أو بعبارة أدقّ أنّها تتضمّن ثلاث أفعال بالتناوب، بيانه أنّ كلمة "الدين" تؤخذ تارة من فعل متعدّ بنفسه: "دانه بدينه"، وتارة من فعل متعدّ باللام: "دان له"، وتارة من فعل متعدّ بالباء: "دان به"، وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة<sup>(1)</sup> ويلخص محمد عبد الله دراز الصيغ الثلاث الممكنة في اشتقاق كلمة "دين" بقوله: فإذا قلنا: دانه دينا عنينا بذلك أنه ملكه، وحكمه، وساسه، ودبره، وقهره وحاسبه وقضى في شأنه وجزاه وكفأه، فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرف بما هو من شأن الملوك من السياسة والتدبير، والحكم والقهر، والمحاسبة والمجازاة<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص 30.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 30.

## الدكتور محمد بو الروايح

...وإذا قلنا: "دان له" أردنا أنه أطاعه، وخضع له، فالدين هنا هو الخضوع والطاعة، والعبادة والورع، وكلمة: "الدين لله" يصح أن منها كلا المعنيين: الحكم لله أو الخضوع لله<sup>(1)</sup>... وإذا قلنا: "دان بالشيء" كان معناه أنه اتخذ ديناً ومذهباً، أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به فالدين على هذا المعنى هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظرياً أو عملياً. فالمذهب العملي لكل امرئ هو عاداته وسيرته، كما يقال "هذا ديني ود يدي"، والمذهب النظري عنده هو عقيدته ورأيه الذي يعتقده<sup>(2)</sup>.

ويخلص محمد عبد الله دراز من ذكر الاشتقاقات والتعريفات المختلفة لكلمة "دين" في الوضع اللغوي إلى القول: "... وجملة القول في هذه المعاني اللغوية أنّ كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر، يخضع له فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً وحكماً وإلزاماً، وإذا نظر إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عنها. ونستطيع أن نقول إنّ المادة كلّها تدور على معنى لزوم الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو التزام الانقياد وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذي يلزم الانقياد له<sup>(3)</sup>. والذي يعني كما قال محمد عبد الله دراز<sup>(4)</sup> من كلّ هذه الاستعمالات هو على الأخصّ الاستعمال الثالث، فكلمة الدين التي تستعمل في تاريخ الأديان لها معنيان لا غير (أحدهما) هذه الحالة النفسية (état subjectif) التي نسميها التدين (religiosité) (والآخر) تلك الحقيقة الخارجية (fait objectif) التي يمكن الرجوع إليها في العادات الخارجية أو الآثار الخالدة، أو الروايات المأثورة ومعناها جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم، اعتقاداً أو عملاً (doctrine religieuse) وهذا المعنى أكثر وأغلب.

ولا يُعين الاشتقاق اللغوي على فهم الدين أو الظاهرة الدينية، لأنه يقتصر على التوصيف اللغوي الذي لا يجاوز الألفاظ الظاهرة إلى الحقائق الكامنة، وحقائق الدين وماهيته المتبادرة لا تدرك إلاً بالاصطلاح، وفي ذلك يقول محمد عبد دراز: "... بيد أن هذه التحليلات الاشتقاقية كلها إنما تكشف لنا عن جذر المعنى وأصله في اللغة، ولا تصوّر لنا حقيقته واضحة وافية، كما هي في عُرف الناس واصطلاحهم بل لا تزال المسافة منفرجة بين المعنى اللغوي، والمعنى العربي<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص 31

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 31.

<sup>3</sup> محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص 31

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 32.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 33

## الدكتور محمد بو الروايح

ويجب أن نقر أن المعنى الاصطلاحي للدين على أهميته يكشف عن اختلاف كبير بشأنه بين الإسلاميين والغربيين، أما الإسلاميون فقد اشتهر عندهم تعريف الدين بأنه [وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصّلاح في الحال، والفلاح في المآل]، ويمكن تحليصه بأن نقول: الدين وضع إلهي يرشد في الحق إلى الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات<sup>(1)</sup>. وأما الغربيون فلهم في ذلك تعبيرات شتى ولكن نكتفي منها بتعريف روبرت سبنسر Robert Spencer، وتعريف ماكس ميلر Max Muller، وتعريف إميل دوركايم Durkheim، وهي في نظري نماذج تغني عن المزيد، لأنها تعبر عن النظرة الغربية الجامعة للدين<sup>(2)</sup>.

يعترف روبرت سبنسر الدين في خاتمة كتابه "المبادئ الأولية" بأنه [الإيمان بقوة لا يمكن تصوّر نهايتها الزمانية ولا المكانية وهو العنصر الرئيسي في الدين]<sup>(3)</sup>. ويعرّف ماكس ميلر Max Muller، الدين بأنه "محاولة تصوّر ما لا يمكن تصوّره، والتعبير عمّا لا يكمن التعبير عنه، هو التطلّع إلى اللانهائي، هو حب الله"<sup>(4)</sup>.

ويعرّف إميل دوركايم Durkheim، الدين بأنه مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدّسة (أي المعزولة و المحرّمة)، اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمّى الملة<sup>(5)</sup>.

ومن هذه التعريفات يمكن أن نستخلص أمرين اثنين: الأول: وهو أنّ التعريفات الغربية للدين قياساً على ما ذكره سبنسر Spencer وميلر Muller ودوركايم Durkheim، تجعلنا نجزم بأنّ الغربيين - على الأقلّ الذين ذكرناهم - لا ينظرون إلى الدين على أنّه وضع إلهي بالمعنى الصحيح، ولكن ينظرون إليه على أنّه ظاهرة قاهرة، أخضعت الإنسان وهيمنت

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 33.

<sup>2</sup> لتفصيل أكثر انظر: Chachoin, évolution des idées religieuses des religions

<sup>3</sup> يذكر محمد عبد الله دراز في المرجع السابق، ص 34 في الهامش تعريف روبرت سبنسر للدين في كتاب "المبادئ الأولية": "La religion est la croyance en un pouvoir dont on ne peut concevoir les limites dans le temps ni dans l'espace est l'élément fondamental de la religion (Robert Spencer), premiers principes.

<sup>4</sup> يورد محمد عبد الله دراز تعريف ماكس ميلر للدين على هذا المنوال: "la religion est un effort pour concevoir l'inconcevable, pour exprimer l'inexprimable, une aspiration vers l'infini, un amont de dieu (max muller, origine et développement de la religion, ص 35.

<sup>5</sup> يورد محمد عبد الله دراز تعريف إميل دوركايم للدين على هذا المنوال: "la religion est un système solidaire des croyances et des pratiques relatives à des choses sacrées, c'est-à-dire séparées interdites- croyances et pratiques qui unissent en une même communauté morale appelée Eglise. Tous ceux qui y adhèrent (Durkheim, formes élémentaires de la vie religieuse, p65.

## الدكتور محمد بو الروايح

على حياته و الثاني هو أنّ استعراض التعاريف الإسلامية للدّين يعين على إدراك أن الجمهرة الغالبة منها قد جاوزت الحدّ في التحديد حتى حصرت مسمّى الدّين في نطاق الأديان الصحيحة المستندة إلى الوحي السّماوي، وهي التي تتخذ معبوداً واحداً، هو الخالق المهيمن على كلّ شيء، فالديانة الطبيعية المستندة إلى محض العقل، والديانات الخرافية التي هي وليدة الخيالات والأوهام، وكل ديانة تقوم هي أو جانب منها على عبادة التماثيل... الخ، تخرج بمقتضى هذه التعاريف على أن تكون ديناً، مع أنّ القرآن قد سمّاها كذلك حيث يقول: "ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه"<sup>(1)</sup>. ويقول: "لكم دينكم ولي ديني"<sup>(2)</sup>.

ويظهر من كلام محمد عبد الله دراز أنّ حصر الدّين في نطاق ما أُصطلح عليه "الأديان السّماوية" أو "الأديان التوحيدية"، إنّما هو عمل المدرسة الإسلامية التي عمدت إلى تقسيم الأديان إلى سماوية وغير سماوية، وأعتقد أنّ هذا التقسيم لا يتفق مع القاعدة التي قرّناها في البداية وهي الوحدة المعنوية والرابطة المشتركة التي تنطوي عليها الأديان بغض النظر عن كونها سماوية أو طبيعية.

---

<sup>1</sup>. آل عمران، 85.

<sup>2</sup>. الكافرون، 6.

## النظريات المختلفة في تفسير نشأة الدين أو الظاهرة الدينية:

### 1- الاتجاه الطبيعي:

ويرى أصحابها أنّ الدين محاولة أولى من جانب العقل الإنساني لتفسير الظواهر الطبيعية وقد اهتموا إلى ذلك ما يرونه من تناسق وانتظام في الكون، فنسبوا هذا التناسق والانتظام الكوني إلى قوّة قاهرة مستقلة، ويرجح ماكس مولر (Max Muller) أنّ الإنسان قد تدين منذ أوائل عهده لأنّه أحس بروعة المجهول وجلال الأزلية الكونية التي ليس لها انتهاء، ويذهب مولر إلى أنّ الدين هو اللّغة التي يعبر بها الإنسان عن هذا الإحساس الغامض الذي يأتيه عن طريق الحواس، والشعور الديني-حسبه- يعترف بوجود عدّة آلهة ولكن سرعان ما يهتدي إلى الإله الأعلى والأقوى، فتستغرق صفاته العليا كلّ صفات الآلهة الكثيرة<sup>(1)</sup>.

يقول محمد عبد الله دراز إن أشهر مقرري هذه التّظيرة هو العالم الألماني Max Muller في كتابه عن الأساطير المقارنة و التماثيل القديمة، وعلى الأخص من دراسة الغيدا<sup>(2)</sup> les védas - كتب الديانة البرهمية، حيث وجد أنّ أسماء الآلهة فيها هي في الغالب أسماء لتلك القوى الطبيعية العظيمة كالماء والنار ونحوها، وأنّ هذه الأسماء بعينها تتشابه حروفها في سائر اللّغات المسماة بالهندية الأوربية، فخلص من ذلك إلى أنّه، قبل تشعب الشعوب الإنسانية وخروجها من موطنها الأول، كانت هناك لغة واحدة، تعبر عن هذا التقديس العام لقوى الطبيعة الكبرى، فتكون إذّا هي الفكرة الأولى قبل ظهور الحضارات<sup>(3)</sup>.

### 2- الاتجاه الروحي:

ويسمى كذلك الاتجاه الحيوي وهو يندرج ضمن المذهب التطوّري الذي ينقسم كما يقول النشار<sup>(4)</sup> إلى قسمين مختلفين الأول: القائلون بفرضية الدين والثاني: القائلون بجمعية الدين وأهم نظريات الفريق الأول " التّظيرة الطبيعية التي سبق الحديث عنها والنّظيرة الحيوية التي نحن يصددها، وينسب الاتجاه الروحي إلى تايلور وسبنسر، وقد ذهبوا إلى أن أقدم

<sup>1</sup> يراجع Max Muller ، الأساطير المقارنة comparative mythology

<sup>2</sup> ذكر سليمان مظهر أنّ كتب الغيدا أو الغيداس هي الكتب المقدسة المرجعية في الديانة الهندوسية وكانت تلك الكتب طويلة وقد صيغت أشعارا. انظر: سليمان مظهر، المرجع السابق، ص106.

<sup>3</sup> محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص114 . 115 .

<sup>4</sup> علي سامي النشار، نشأة الدين: النظريات التطورية و المؤلّهة. دار نشر الثقافة الإسكندرية ، 1949، ص32.

## الدكتور محمد بو الروايح

دين في الوجود هو الاعتقاد في الأرواح وعبادتها، وأولى الآلهة عندهم الأسلاف، ونشأت هذه الفكرة على رأي (تايلور) عن اعتقاد الإنسان البدائي في الحياة المزدوجة بين يقظته ونومه، ومن ذلك ثبت للبدائي أنّ فيه كائن آخر غير الجسم يستطيع في ظروف معينة، أن يترك الجسم ويتعد عنه، فاعتقدوا للنفس قوّة عجيبة، تستطيع الاتصال بأجسامها وتؤثر عليها بالضر والنفع، ولا يستطيع الإنسان أن يتصل بها إلا بمراعاته لطقوس خاصة<sup>(1)</sup> ولما كان الموت هو بداية تحول هذه النفس إلى روح مقدسة فإن أول عبادة إنسانية إنما اتجهت إلى الموتى، إلى نفوس الأسلاف<sup>(2)</sup>.

هذا المذهب الذي يقول أصحابه إنّ عبادة الأسلاف هي العقيدة الأولى التي ظهرت في الوجود ردّ عليه كثير من الباحثين وقد رد عليه دوركايم بأن اعتقاد الإنسان الأول بقاء الأرواح لا يكفي لنشوء عقيدة دينية، لأن عبادة الأسلاف وجدت عند الأمم البدائية بجانب عبادة أشياء أخرى، بل بعض الأمم لم تعبد الأسلاف فلم يكف هذا لتفسير نشأة العقيدة<sup>(3)</sup>.

## الاتجاه الطوطمي:

(وأصحابه هم القائلون، بجمعية الدّين، الذين تمثلهم المدرسة الفرنسية الاجتماعية في أواخر القرن العشرين، وقد راعتهم فكرة العقل الجمعي ورأوا فيها رمز الدّين أو بمعنى أدق ذهبوا إلى أنّ الدين رمز لها وعلم على وحدتها)<sup>(4)</sup>. وأبرز أصحاب هذا المذهب (دوركايم) الذي اعتبر الطوطمية أقدم ديانة على الإطلاق والطوطم عبارة عن رمز تتخذه العشيرة شعاراً لوحدها وقوّتها، وتعتقد أنّه جدّها الأعلى ومنه تناسلت فتقدس العشيرة هذا الطوطم، وقد يكون هذا الطوطم جماداً أو نباتاً أو حيواناً<sup>(5)</sup>.

(ولم تظهر كلمة طوطم كمصطلح في علم الأجناس إلا في أواخر القرن الثامن عشر... وأخيراً اكتشف (جلين) و (سبنسر) خلال أبحاثهما في وسط أستراليا عددا من القبائل يدينون بالطوطمية)<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> ذكر تايلور Tylor هذه النظرية في كتابه "المدنية البدائية" la civilisation primitive

<sup>2</sup> علي سامي النشار، المرجع السابق، ص 33. 38.

<sup>3</sup> محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص 135. انظر أيضاً: محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، دار القلم، دمشق، ط1، 1992، ص24.

<sup>4</sup> علي سامي النشار، المرجع السابق، ص 3.

<sup>5</sup> محمد أحمد الحاج، المرجع السابق، ص 25.



## الدكتور محمد بو الروايح

(وقد ردّ كل من (لانج أفريزر) " وسميث) و" تايلور) على هذا المذهب بأنّ هذا الطوطم لا يصلح كمبدأ للعقيدة، لأنّه من خلاله الأبحاث الكثيرة تبين أنّ هناك أمماً بدائية كانت تعيد مع الطوطم آلهة أخرى وربما لم تعبد الطوطم إطلاقاً وإن كان رمزاً لها<sup>(2)</sup>. والملاحظ أنّ الطوطمية عقائد خاصة ضيقة تناول سواء الرمز الطوطمي من النبات أو الحيوان الذي تشير إليه الرموز، ثم أفراد العشيرة، وهذا لا يمكن أن يشكل ديناً لأنّ الدّين الحقيقي هو ما حاول الإحاطة بالكون كله" وتلك هي المحاولة التي أرادها دوركايم" حين أراد أن يجعل من الطوطمية مذهباً في الوجود، وهو بهذا يشبه الطوطمية بأيّ دين آخر من الأديان التي قامت بهذا العمل<sup>(3)</sup>. ( والغريب الذي نلاحظه أنّ دوركايم الذي أنكر على المذهب الحيوي اعتباره فكرة عبادة النفوس فلسفة البدائي الأول، وحاول أن يسلب البدائي القدرة على التأمل النظري نراه هو نفسه يعود إلى اعتبار الطوطمية فلسفة وجودية ينبثق عنها أعظم تفكيره<sup>(4)</sup>.

ولعاطف وصفي رأي في الاتجاه الطوطمي حيث يقول " أمّا النظام الطوطمي فينتشر في قبائل السكان الأصليين في أستراليا وقد اهتم به العلامة دوركايم وأرد أن يستنتج نظرية عامة في الدّين تحدد الوظيفة الاجتماعية في الدّين بأنّها المحافظة على تماسك و استمرار البناء الاجتماعي للمجتمع وتأكيد أواصر التعاون والود بين المنتمين لدين واحد، رغم أنّ الأنثروبولوجيين يتفقون مع دوركايم في التحديد السابق للوظيفة الاجتماعية للدّين وخاصة في المجتمعات البدائية، إلا أنّ المعلومات الميدانية التي اعتمدت عليها قد تعرضت لكثير من النقد، فمثلاً لم يوفق العلامة فريزر على اعتبار الطقوس الطوطمية ظاهرة دينية، وإتّما نوع من السحر، ولا يصير فريزر على اعتبار الطقوس الطوطمية ظاهرة دينية وإتّما نوع من السحر ويذكر (راد كليف براون) أنّ المعلومات التي اعتمد عليها دوركايم غير كاملة وغير واضحة وخاصة أنّ الدراسات الميدانية للمجتمعات البدائية الأسترالية قد كثرت بعد عام 1912 أي بعد نشر كتاب دوركايم، وقد اعتمد دوركايم في تحليلاته على قبيلة أسترالية تدعى " أراندا"، ولكن تبين بعد ذلك أنّ تلك القبيلة لا تمثل الصورة العامة للعقائد والطقوس المنتشرة عند القبائل الأسترالية وإتّما تمثل حالة فردية، ولذلك اعتمد هنا على معلومات العلامة (راد كليف براون) لحداتها ودقتها<sup>(5)</sup>.

1. علي سامي النشار، المرجع السابق، ص 92 .94.

2. محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص 156.

3. علي سامي النشار، المرجع السابق، ص 126.

4. المصدر نفسه، ص 127.

5. عاطف وصفي، الأنثروبولوجي الثقافية، دار النهضة العربية بيروت، ص 235. وما بعدها.

## 4- الاتجاه التعليمي أو مذهب الوحي:

يقول محمد عبد الله دراز: "تتشترك المذاهب المتقدمة كلها في أن العقيدة الإلهية وصل إليها الإنسان بنفسه عن طريق عوامل إنسانية سواء أكانت تلك العوامل من نوع الملاحظات والتأملات الفردية، أم من نوع جنس التأثيرات والضرورات الاجتماعية اللاشعورية. في الطرف المقابل لهذه النظريات كلها يقرر المذهب التعليمي أنّ الأديان لم يسر إليها الإنسان، بل سارت هي إليه، وأنّه لم يصعد إليها، بل نزلت عليه، وأنّ الناس لم يعرفوا ربحم بنور العقل، بل بنور الوحي، هذه النظرية التي أخذت بها أوربا طوال القرون الوسطى، وأيدها بعض علماء التاريخ حتى في القرن التاسع عشر، لا تزال هي المذهب السائد عند كبار رجال الدّين عندهم، كما أنّنا نجد في الكتب السماوية مصداق الجانب الإيجابي منها. هذه الكتب تقرّر أنّ الله سبحانه لما خلق أبا البشر كرمه وعلمه حقائق الأشياء<sup>(1)</sup>، وكان فيما علمه: أنّه هو خالق السموات والأرض وما فيهما، وأنّه هو خلق الناس ورزقهم، وأنّه هو مولاهم الذي تجب طاعته وعبادته... نعم إنّ الناس لم يكونوا كلّهم أوفياء بهذه الوصية المقدسة، بل إنّ أكثرهم وقع في الضلال والشرك، ولكن هذا التعليم الأعلى لم يمح أثره محوّ تاماً من البشرية، ولذلك ظلت فكرة الألوهية والعبادة بوجه عام مستمرة في جميع الشعوب، على أنّ العناية السماوية بهذا التعليم الروحي لم تقف به عند الإنسان الأول، بل مازالت تتعهد به الأمم في فترات تقصر أو تطول وجعلت تذكرهم به على لسان سفراء الوحي من الأنبياء والمرسلين، وإنّ كتب الديانات العظمى لتنتسب كلّها إلى هذا المصدر السّمائي<sup>(2)</sup>.

هذه هي أهمّ النظريات التي قيلت بشأن تفسير نشأة العقيدة الدّينية، وقد اكتفيت بها وضربت الذكر صفحا عن كثير من التفاصيل فيما عداها من النظريات النفسية<sup>(3)</sup>، التي تلخص فكرتها العامة في أنّه لأجل الوصول إلى العقيدة الإلهية، لم يكن للناس حاجة إلى التأمل في الطبيعة وجمالها، ولا في التقلبات الكونية وأهوالها ولا إلى التجارب العجيبة في عالم الأرواح وأسرارها، بل إنّ تجارب الإنسان النفسية، في حياته العادية المألوفة له في كل يوم، كانت كافية لتوجيه نظره بقوة إلى تلك الحقيقة العليا<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>. محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص 164.

<sup>2</sup>. المصدر نفسه، ص 164. 165.

<sup>3</sup>. ومن هذه النظريات النفسية نظرية سابا تيه Auguste Sabatier ونظرية برجسون Bergson. في كتابه "ينابيع الحق والدّين"، ونظرية "ديكارت descartes".

<sup>4</sup>. محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص 135.

## الدكتور محمد بو الروايح

وفي النهاية أقول إنّ المعتقدات الدينية التي تعترف بوجود قوّة قاهرة مقدسة صانعة لهذا الكون ومدبرة لشؤونه موجودة في كل المجتمعات الإنسانية الغابرة والحاضرة وفي ذلك يقول عبد الحميد لطفي: "النّظم الدينية موجودة في كل المجتمعات الإنسانية، لأنّها تسد حاجات اجتماعات هامة، فالدين يدفع الأفراد إلى تغليب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، كما يساعد على تكامل شخصية الفرد وتقوية روحه المعنوية فيدفع عنه الخوف ويحيي فيه الأمل بما يبثه فيه من قوّة خارقة تتمثل في قوّة الإله الذي يقدر على مساعدته. وللنّظم الدينية دور هام في تكامل المجتمع عن طريق شعائره التي تؤدي وظيفة العاطفة الجماعية المشتركة، والتي تذكر الفرد وهو غارق في حياته المادية وأنانيته وشحّه بولائه لجماعته ولقيّمها العليا"<sup>(1)</sup>.

---

<sup>1</sup> عبد الحميد لطفي، علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، ص 73.

الدكتور محمد بو الروايح

**الدراسات المتعلقة بالظاهرة الدينية:**

لقد كانت الظاهرة الدينية ولا زالت محوراً وموضوعاً لدراسات كثيرة، يجمعها قاسم مشترك، وهو أنها تعبر عن الظاهرة الدينية بشكل من الأشكال وإن اختلفت وسائل التعبير، ويمكن أن نلخص هذه الدراسات على النحو الآتي:

**1- علم مقارنة الأديان:** وهو العلم الذي يهتم بدراسة العقائد الدينية المختلفة مع مقارنتها للوقوف على الحقيقة الشكلية التي تنطوي عليها، ومعرفة أوجه الشبه والاختلاف بينها، ولست في حاجة إلى كثير من التعليل لإثبات الجدور الأولى لعلم مقارنة الأديان، وفضل السبق للمسلمين في تدوينه وحسبي في ذلك ما يقوله محمد عزت الطهطاوي: "ونستخلص من ذلك أنّ علم مقارنة الأديان من العلوم الإسلامية التي يجب على علماء الإسلام عدم إغفالها في دراستهم ومؤلفاتهم وكتابتهم حتى يتبين الحق للدارس وللقارئ، لما يمتاز به الإسلام من قوّة الحجّة وسلامة القصد أمام أعداء الإسلام وكثير ما هم<sup>(1)</sup>."

ويذهب محمد عزت الطهطاوي إلى ما هو أبعد في تقرير حقيقة أسبقية المسلمين في تأسيس علم مقارنة الأديان فيقول: "مما تجدر الإشارة إليه أنّ هذا العلم يعتبر ثغراً من ثغور الإسلام يجب على المسلمين عامة وأولي الأمر منهم خاصة- سواء في الدّين والدّنيا- النهوض به، وجعله مادة أساسية في معاهدهم وجامعاتهم، فما اعتنق الإسلام واحد ممّن يعتدّ به إلّا بعد أن سلك هذا الطريق، ودرس ذلك العلم، ولنضرب على ذلك المثالين الآتين أحدهما من الشرق والآخر من الغرب، فالذي من الشرق فهو من دعا نفسه بعد إسلامه محمد فؤاد الهاشمي، وقد كان واحداً من رجال الدّين المسيحيين ويقول عن نفسه، إنّ بعد أن أكمل دراسته اللاهوتية تحول إلى البحث في الدّين الإسلامي، ولم يكن قصده من ذلك البحث في الإسلام بل استخراج العيوب، وتلمس الأخطاء والوقوف على المتناقضات التي أوحى بها إليه أهله من النصارى وأساتذته من الكهنة، ولكن ما كاد يطرق الباب، ويمسك بأول الخيط حتى دخل باب المقارنة بين الإسلام وما سبقه من الأديان، وخرج من تلك المقارنة وقد استولى عليه سحر الحقيقة الناصعة والمبادئ الوضاعة والتعاليم الصريحة للإسلام لا اعوجاج فيها ولا التواء ولا سلطان لكاهن ولا طغيان لأخبار، بل وجد لكل سؤال جواباً شافياً، ووجد فصل الخطاب بينما لم يستطع أي دين سابق أن يعطي في ذلك الجواب، وجد أنّ مازعموه في الإسلام عيوباً كانت مزايا له وما ظنوه متناقضات كان حكماً وأحكاماً فصلت لأولي الألباب، وأنّ ما عابوه على الإسلام كان علاجاً للبشرية التي ظالما تردّت في بيداء الظلمات، حتى أخرجها الإسلام من الظلمات إلى النور، وهدى للناس بإذن ربه إلى صراط مستقيم،

<sup>1</sup> - محمد عزت الطهطاوي ، الميزان في مقارنة الأديان ، : حقائق ووثائق ، دار القلم ، دمشق ، ط2 ، 2002 ، ص 10 ..

## الدكتور محمد بو الروايح

وأما الذي هو من الغرب فيدور إيفان جفرتور، فنزولي الجنسية، من مواليد مدينة كاراكاس بأمريكا الجنوبية، يقول عن نفسه إنه كان مسيحياً كاثوليكياً درس في المدارس الكاثوليكية لمدينة نيويورك، ولكنها تركت انطباعاً سيئاً في نفسه، ثم درس البوذية والهندوكية وبعض الديانات الوثنية، لكنه لم يجد فيها راحته، ولما أرد الاطلاع على الإسلام لم يسهل عليه ذلك في بادئ الأمر، لأن المؤسسات اليهودية بأمريكا، والتي كانت تتحكم في وسائل الإعلام أبعدت عن مجالها كل ما يشير إلى الإسلام من قريب أو من بعيد، خصوصاً بعد أن تحول إلى الإسلام قسم دراسي بأكمله، ولما اطلع على بعض ما كتبه المنصفون عن الإسلام، وقرأ ترجمة أمينة لمعاني القرآن الكريم، فوجد تعبيراً دقيقاً عن أعماق نفسه، لصورة مطابقة لفطرته التي تذكرها، وهو يتدبر في معانيه ووجد فيه تلبية لكل حاجاته الروحية<sup>(1)</sup>.

ويخلص محمد عزت الطهطاوي من حديثه عن علم مقارنة الأديان وأسبقية المسلمين في تأسيسه وتأصيله إلى تقرير حقيقتين اثنتين:

الحقيقة الأولى وهي أنّ دراسة علم مقارنة الأديان يكشف للباحثين مدى التناقض والزيغ في العقائد غير الإسلامية ومدى ما يتجلى في القرآن الكريم من حق واضح في مجال العقيدة والشريعة وبناء الحياة على أقوم الأصول وأرسخ الدعائم، وما يتضمنه من منهج كامل لكل جانب من جوانب الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والسياسية<sup>(2)</sup>.

الحقيقة الثانية وهي أنّ علم مقارنة الأديان ليس ديناً مرغوباً فيه في أكثر الأقطار العربية والإسلامية، لما غلب على ظن كثير من الشخصيات الدينية بأنه بدعة في الدين أو تبرير للإلحاد أو كفران للسمت الذي يمتاز به الإسلام على غيره من الأديان، ولما غلب أيضاً على ظن كثير من الشخصيات السياسية من أنّ علم مقارنة الأديان باب إلى الفتنة الجماعية التي من شأنها أن تهدد الوحدة الوطنية والهوية<sup>(3)</sup>، والأصل أنّ هذه الظنون كلها ادّعاءات فارغة لا يسندها دليل.

وإذا أردنا أن ننفي عن علم مقارنة الأديان كلّ خصوصية وكلّ أفضلية لفئة دينية على أخرى، ورمنا بدلاً من ذلك أن نصنع له منهاجاً عاماً فإنه يمكن أن نحدّد ملامحه وخطواته في ما يأتي:

1- أن يكون علم مقارنة الأديان علماً شمولياً يحرص أصحابه والمشتغلون في ميدانه على إبراز القواسم المشتركة للأديان قبل الانتقال إلى إبراز ما تنطوي عليه هذه الأديان من تشابهات أو اختلافات، وإصابات واختلالات ومن شأن

<sup>1</sup> محمد عزت الطهطاوي، المرجع السابق، ص10، 11.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص10.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص10.

## الدكتور محمد بو الروايح

تقرير هذا الضابط الموضوعي أن يعصم الدّارس لعلم مقارنة الأديان من جعله لتكريس العدوات بين أهل الأديان وإثارة عوامل الشقاق والاختراق فيكون لهذا السلوك الاستفزازي والعدواني عواقبه الوخيمة على مستقبل الأديان ومستقبل الإنسان في آنٍ واحد.

2- أن يلتزم الباحث في علم مقارنة الأديان بقدر كبير من الموضوعية إن لم نقل الموضوعية المطلقة التي تجعله لا يستجيب لداعي التعصب الدّيني الذي يقع فيه كثير من المتدينين فيسد عليه كل آفاق لقبول الحقيقة في غير دينه الذي يدين به، وحول هذا المعنى يقول عباس محمود العقاد عن الشمولية والموضوعية التي ينظر بها المسلم إلى الأديان الأخرى: "فالعجز العقلي عن تعليل الإيمان بالدين ضرورة ملازمة لتفكير المتدين الذي لا يعرف الحق في غير دين واحد، كأنما كان الإله الهادي لعباده في غيبة عنهم قبل أن ينتزل ذلك الدين الوحيد بين ما سلف من الأديان... والمسلم له عصمة من عقيدته تحميه من ذلك العجز الذي يصيب العقل ويصيب العقيدة معاً، فهو دين التفكير أما الأديان الأخرى حيث يتعسر التفكير في أمثال هذه المواقف بين المتدينين"<sup>(1)</sup>.

ويفهم من كلام عباس محمود العقاد أنّ العقلانية في تعليل الإيمان والعقيدة كافية في تكريس الموضوعية في دراسة الأديان وهو ما يتفق مع ما أشرت إليه.

3- أن يكون الهدف من دراسة علم مقارنة الأديان تصديق منهج الوحي في إثبات العقيدة الدّينية، بناء على الحقائق الخالدة التي انطوت عليها شرائع الأنبياء وفي مقدماتها حقيقة التوحيد وكذا الوحدة الدّينية الذي تجمع على الأقل بين أديان التوحيد قبل شيوع ظاهرة التحريف وثقافة الانحراف كما هو الشأن بالنسبة لليهودية والمسيحية. إنّ حقيقة التوحيد والوحدة الدّينية كما أشرت تتخلص كلّها في قوله تعالى: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه"<sup>(2)</sup>.

وحيثما نؤكد على ضرورة التزام علم مقارنة الأديان بتتبع وتقصي حقيقة الدين التي تنطوي على التوحيد الخالص، فإنّ القصد من ذلك هو دفع الفرية التي يتبناها بعض الباحثين في علم مقارنة الأديان بزعمهم أنّ العقيدة الدّينية لم تعرف التوحيد ابتداءً، وإنّما مرّت في ذلك بأطوار، ويجلّي محمد سيّد أحمد المسير<sup>(3)</sup> تهافت هذا الزعم بقوله: "هناك فرية تبناها

<sup>1</sup>. عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، مكتبة رحاب، الجزائر بدون تاريخ، ص 91..

<sup>2</sup>. الشورى، 13.

<sup>3</sup>. محمد سيّد أحمد المسير، المدخل لدراسة الأديان، دار الطباعة، المحمدية، القاهرة ط 1، 1994، ص 308، 309.

## الدكتور محمد بو الروايح

الباحثون في علم مقارنة الأديان وخذع بها بعض المفكرين المسلمين تقوم على أنّ الإنسان قد ترقى في عقائده كما ترقى في العلوم والصناعات،

وأنّ العقيدة الدّينية مرّت بأطوار شتى هي: (1).

- 1- دور التعدّد وفيه كانت القبائل الأولى تتخذ لها أرباباً تُعد بالعشرات.
- 2- دور التمييز والترجيح وفيه تبقى الأرباب على كثرتها ويأخذ ربّ منها في البروز والرجحان على سائرهما.
- 3- دور الوجدانية وفيه تتوحد الأمة فتجمع على عبادة واحدة تؤلف بينها مع تعدّد الأرباب في كلّ إقليم.
- 4- بعد هذه الوجدانية الناقصة ينشأ دور الثنائية في محاولة لتفسير الشر في الوجود بنسبته إلى إله غير إله الخير.
- 5- يعقب ذلك وحدة الوجود في محاولة التوفيق بين النقائص والضرورات وإثبات وجود إله عن طريق الحس والعقل معاً.

6- بعد كلّ هذا بدأت الأديان الكتابية تبلغ بالتوحيد غاية مرتقاه، وتعلم الناس عباد الإله الأحد الذي خلق الوجود من عدم وسعت قدرته كلّ شيء".

هكذا يفكر علماء مقارنة الأديان وهذا التفكير ينطلق من التسليم بصحة نظرية دارون، مع أنّها كما قلنا مجرد فرض يعوزه التحقيق العلمي، فإنّ الإنسان بما يمتاز به من علم ولغة وفن وصناعة، وخلق ودين، لا يرتبط أدنى ارتباط بعالم الحيوان. ونحن لا ننكر أن الإنسانية مرت بهذه الأطوار التي يرتبها علماء مقارنة الأديان ولكننا نؤمن أنّها انحرافات عن المنهج الأول، وتحريفات للنص المقدس ومذاهب بدعة وضلالة سرت في الناس بعد أن طال عليهم الأمد وقست قلوبهم ولهذا تتابعت الرسائل الإلهية لتعيد الناس إلى الفطرة النقية (2).

ونرى أنّ رأي محمد سيد أحمد المسير وجيه إلى درجة كبيرة وهو ما يتفق مع الحقيقة التي أطبق عليها علماء المسلمين وبعض علماء الغربيين الذين تحزّروا من أسر النظريات العلمية التي تقدم افتراضات ولا تقدم حقائق ثابتة.

1. عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 18 بتعرف.

2. محمد سيد أحمد المسير، المرجع السابق، ص 309.

## الدكتور محمد بو الروايح

وإذا أردنا تأصيل ما ذهبنا إليه من أسبقية التوحيد على التعدد وهو الرأي الذي تميل إليه الدراسات الدينية المقارنة اليوم، فإنه حسبنا قول الله تعالى: " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه<sup>(1)</sup> .

إن النتيجة التي ننتهي إليها هي أن علم مقارنة الأديان، أصبح بفضل منهج التحقيق والتدقيق الذي تبناه علماً يقترب كثيراً من تقرير الحقيقة الدينية، ومن التوصيف الحقيقي للظاهرة الدينية خلافاً لما كان عليه قبل قرون أو عقود.

## 2- علم الأديان:

وهو العلم الذي يهتم بدراسة الأديان من مصادرها ومراجعها وفق منهج وصفي يقوم على وصف الأديان المختلفة، وقد تكون هناك ضرورة موضوعية لأن يكون هذا الوصف مشفوعاً بمقارنات بين الأديان أو تتبع لتاريخ العقائد الدينية ومختلف الدراسات النفسية والاجتماعية المتصلة بها، ويؤكد المستشرق جيب هاملتون هذا الأمر بقوله: "... وعلى هذا فإن علم الأديان مبحث وسط يقف بين التاريخ من جهة، وبين علم النفس والاجتماع من جهة أخرى.

ويميز المستشرق جيب مراحل ثلاث للمنهج الذي يتبناه علم الأديان فيقول: " ولعل من الجائز أن نتميز ثلاث مراحل كبرى في الدرب الموصل إلى علم الأديان، أولها مرحلة العصر القديم حيث نجد أن ظهور الفكر الفلسفي يحدّد شيئاً فشيئاً نوعاً من الوعي الانتقادي بالمشكلة الدينية، وقد ازداد اهتمام الباحثين بهذه المشكلة في العصر الوسيط بوجه خاص، وظهرت في إثر ذلك مرحلة المذهب الفعلي الحديث وما نجم عنه من ارتكاسات في صدد الدين وأخيراً جاءت مرحلة النظرة الحديثة إلى شؤون الإنسان، وبها شرعت العلوم الإنسانية تشق طريقها في مجال المعرفة بدءاً من القرن التاسع عشر، ولا تزال<sup>(2)</sup> .

ويستطرد المستشرق جيب هاملتون في سرد هذه المراحل الثلاث التي مرّ بها علم الأديان، فيقول عن مرحلة العصر القديم: " ففي العصر القديم، جاء باحثون بأوصاف تقع في منزلة بين منزلة الشك والإيمان حول الظواهر الدينية الأسطورية فقد اعتنى هيروودوت ويوزانياس بالعقائد الدينية السائدة لدى الشعوب التي درسها واعتبر (افيمر) evhémère الذي عاش في صقلية في القرن الرابع قبل الميلاد أن الآلهة والآلهات اليونانية هم الملوك والأبطال الذين ألهمهم أتباعهم المعجبون بهم بعد وفاتهم، وذهب (كز نوفان) و"هرقليط" إلى أن الأسطورية تعبير رمزي، شعري وشعبي عن ظواهر

<sup>1</sup> البقرة، 213.

<sup>2</sup> جيب، علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، منشورات عويدات بيروت، ط2، 1989، ص6.



## الدكتور محمد بو الروايح

الطبيعة، ومضى أبيقور و(الرواقيون) في منحى تأويلات ربيبه قوية واستطاعت الأفلاطونية الجديدة<sup>(1)</sup> أن تستخلص مذهباً توحيدياً من الشرك القديم<sup>(2)</sup>.

ويقول المستشرق جيب هاملتون عن مرحلة العصر الوسيط: "وبلغ الإيمان المسيحي شأواً بعيداً عظيماً في العصر الوسيط وعصر النهضة، وكان من نتيجة ذلك التعصب والإعلان عن أنّ جميع الديانات ماعداً المسيحية، ذات أصل شيطاني ولذا فإنّها عقائد زائفة كاذبة"<sup>(3)</sup>.

ويقول جيب عن مرحلة العصر الحديث: "ولكن العناية بالمشكلة الدينية في العصر الحديث أخذت تشتدّ وتقوى وقد بدأ كثير من الباحثين في القرن السادس عشر بتتبع ديانات ابتدائية كثيرة، وعمد اللورد هيربرت دي شربوري H.Decherbury ولوك وانطوني كولنز a.collins إلى تصنيف الديانات على اختلاف أنواعها، وأخذ المبشرون، ومنهم كاري Carey، بدراسة كتب الهند المقدسة وترجمتها، وذهب (لافيتو) lafitau إلى التقريب بين الديانات الابتدائية وبين عبادات العصر القديم وأكد (د.بروس) D.brosses أن من الجائز تحري أصل الدين في سلوك الإنسان فغداً رأيه منطلق الدراسات الدينية (الوضعية) في القرن التاسع عشر وقد رددتها من جهة أخرى المذاهب الفلسفية<sup>(4)</sup>.

ويرى المستشرق جيب أنّ دراسة الدين أو علم الأديان (يمكن أن تنطلق من إحدى وجهتي النظر وجهة النظرة الاعتقادية، ووجهة النظرة العلمية والتاريخية. يقول (فان درلو) van derleau: "إنّ ما هو موضوع في نظر الدين يصبح هو المحمول في دراسة علم الأديان، فالله هو الذي يعمل في نظر الدين بالنسبة إلى الإنسان، أما العلم (أي علم الأديان) فإنّه لا يعرف إلاّ عمل الإنسان بالنسبة إلى الله وإنّ العلم ليعجز عن الكلام عن عمل الله<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> الأفلاطونية الجديدة أو المحدثّة أو الحديثة مذهب فلسفي قالت به مدرسة الإسكندرية فيما بين القرنين الثالث والسادس الميلاديين، أساسه القول بالواحد الذي صدرت عنه الكثرة، وفيه نزعة صوفية تمزج الفلسفة بالدين ومؤسس الأفلاطونية الجديدة هو أفلوطين وقد ولد في أسبوط بمصر وقد حاول التوفيق بين الفلسفة اليونانية والمعتقدات الشرفية بما فيها المسيحي. انظر: المعجم العربي الأساسي، تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (Alesco)، ط1989، ص97.

<sup>2</sup> جيب، المرجع السابق، ص7.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص7.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص7.8.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص11.

## الدكتور محمد بو الروايح

يقول جيب عن الوجهة الثانية لعلم الأديان وهي الوجهة العلمية أو التاريخية كما سماها: ".ويقول آخر: إنّ وجهة النظر العلمية والتاريخية العلمية، في دراسة الدين تنطلق من تفحص الشعور الديني وظواهره بعض النظر عن الإيمان بالعقائد الدينية، والبدء بافتراض أنّ الباحث يقف موقف حياد حيال الديانات عند دراستها دراسة موضوعية فينظر إليها على أنّها أشكال متباينة من عاطفة التدين ويحاول إيضاح نشأتها التاريخية ورسم دروب تطورها، وتبيان أثر ذلك في نماء الفكر الإنساني وتطوره، فيلقي نوراً ساطعاً على حياة قيمه وأهدافه، ويعين على تمديد واقع الوجود الإنساني الحاضر ويفسح المجال أمام استجلاء إمكانات الغد القريب أو البعيد<sup>(1)</sup>.

إننا لا نجد بدا من تأكيد ما ذكرناه سابقاً من أن علم الأديان يتقاطع مع علوم أخرى شديدة الصلة بها سواء كانت متفرعة عنه أو كان هو متفرع عنها كما يقول جيب: "يخلص مما سبق إلى أن علم الأديان يقع في ملتقى بحوث عديدة: التاريخ، الفنونولوجيا، علم النفس، علم الاجتماع، وإته يفيد من طرائق هذه البحوث، ومّا وصلت إليه من معرفة، مع احتفاظه بأصالة مستقلة، فهذا العلم، وإن لم يكن من غرضه الحكم على ضروب الفكر البشري في ميادين الحقيقة الميتافيزيقية والألوهية، فإنّه يرمي برغم ذلك، إلى تجاوز المعطى الاختباري للحوادث الدينية حتى يبلغ فهم المقدس المعاش فهماً داخلياً، ولا بد لعلم الأديان من أنّ يمضي من دراسة مختلف المذاهب الدينية المعروفة إلى دراسة بنياتها الأساسية والشعائر والأساطير والعقائد والرموز من أن أجل أن يتمكن في نهاية الأمر من تحليل مضامينها التي يجاها الإنسان الديني حياة ثابتة، أي يحيا ما يؤلف في هذه البنيات وهذه المذاهب الدينية، أو ما كان يؤلف جزءها الأكثر أهمية، والمتصف بالحياة الأعظم<sup>(2)</sup>.

ولقد خاض نجم الدين البغدادي<sup>(3)</sup> في الحديث عن أسبقية المسلمين في تأسيس علم الأديان وأشباهه من علم مقارنة الأديان وغيره وبرّر ذلك بتبريرات منطقية منها:

<sup>1</sup>. جيب ، المرجع السابق ، ص 11.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه ، ص 26. 27.

<sup>3</sup>. نجم الدين البغدادي الطوفي (المتوفى سنة 716هـ)، الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان ، دراسة وتحقيق أحمد حجازي السقا ، مطبعة دار البيان، مصر، 1983. ص 4، 5.

## الدكتور محمد بو الروايح

- 1- أن، القرآن الكريم والسنة النبوية يمثلان مصدراً إلهياً صحيحاً في الاستدلال على العقيدة الإلهية وأكهما يتجاوزان في ذلك الطريقة التبريرية، التقريرية المجردة التي تتميز بها كتب التوراة والإنجيل، والتي لا تصلح للاستدلال بشيء منها على نقص في دين الإسلام.
- 2- أن المسلمين لم ينهضوا منهجاً عقلياً محضاً أو فلسفياً محضاً أو اجتماعياً محضاً في الحديث عن الأديان المختلفة، وإنما وازنوا في ذلك بين ما تقرره هذه الخصوصيات البحثية، وبين ما تفرضه النصوص الشرعية.
- 3- أن المسلمين اعتمدوا في دراسة الدين على الأخبار المتواترة وخاصة عندما يرومون إثبات أصول الدين التي لا تثبت كما قال البغدادي<sup>(1)</sup> إلا بالتواتر، أما خبر الواحد والقياس الظني والاستحسان والاستصحاب وقول الصحابي ونحوه، فلا تثبت بواحد منهم الأصول، لأن تلك الأخبار توجب العمل دون العلم لكونها ظنية الثبوت، وإن كانت في البخاري ومسلم، لاحتمال وقوع علة فادحة في طريقها.
- 4- أن المسلمين أبانوا عن فساد المنهج الذي سلكه بعض أهل الأديان في إثبات العقيدة الدينية وهذا الفساد مرده إلى إثبات العقيدة صحتها أو فسادها اعتماداً على استدلالات خاطئة أو أقيسة فاسدة، وعليه فإن ما بُني على باطل فهو باطل بالضرورة

## 3- علم الاجتماع الديني:

وهو العلم الذي يهتم بدراسة الظاهرة الدينية من حيث هي ظاهرة اجتماعية في الأساس، وهو التعريف الذي يطبق عليه علماء الاجتماع، وقد شرع دوركايم وماكس فيبر على وجه الخصوص، في تحليل الظاهرة الدينية مستخدمين في ذلك أدوات ووسائل علم الاجتماع حيث ركزا على المجتمع والتغيرات الاجتماعية التي طرأت على دور الدين كعامل فاعل.

ويبني دوركايم تصوراته عن الدين من خلال أزمة عدم وجود بديل لعلم الأخلاق التقليدي، والمبني على تعاليم الديانات، وهو لذلك دعا علماء الاجتماع إلى تبني هذه البدائل من خلال دراسة المجتمع وبحث أسباب التراجع والتطوير، أي أنه كان بهذا أول من دعا إلى استكشاف منطلقات إنسانية للأخلاق، منطلقات مبنية على أساس الاتفاق الإنساني والاجتماعي على هوية وتعريفات ما هو إيجابي أو سلبي دون المرور بمتاهات الديانات التي لا تعطي حدوداً

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص4.

## الدكتور محمد بو الروايح

للأخلاقيات إلاً مقابل ثمن يكون في الغالب مدفوعاً على شكل طقوس عبادية أو تبني معتقدات لا عقلانية بالمقياس الإنساني.

ويركّز ماكس فيبر في دراسة الأديان على اتجاه إزالة الأثر السحري الذي تمارسه الأديان وأقطابها (أي الأنبياء) على الأتباع، لذلك دعا فيبر إلى قطع الصلّة بالرمزيات الدّينية المختلفة التي فرضت هالة من التقديس والتي لا تهدف حسبه إلاً إلى زيادة هيمنة الدّين على الحياة الاجتماعية، وهو عامل سلبي يؤثر سلباً على الإنسان من حيث هو كائن اجتماعي، ويحدّ من حركته الاجتماعية أو يحدّ من فاعلية الحراك الاجتماعي بشكل عام.

كانت دراسة فيبر للدّين دراسة طبيعية وذلك بالنظر إلى الأثر العلمي والوظيفي في الحياة الاجتماعية غير أنّه يستمر برغم ذلك في منح الأولوية والأهمية الكبرى للشخصيات الأكثر شعبية ومنها الشخصيات الدّينية، وهذه مفارقة كبيرة في فكر ماكس فيبر، وقد كانت محل انتقادات كثيرة من خصومه، ذلك أنّ المنطق يقتضي أنّ عدم الإيمان بالأثر القوي للأديان في المجتمع، يحتم بالضرورة عدم اعتبار الشخصيات والرموز الدّينية التي دعت إلى هذه الأديان. وقد اعتبر فريدريك أنجلز أنّ تفسير الظاهرة الدّينية ينبغي أن يضع في الحسبان التفسير الشامل لتطور الدّين ابتداءً من تعريفه للديانات الطبيعية التي تنشأ بعيداً عن الكهانة، وتأثيراتها وكونها نتيجة للجهل بقضايا وأسرار الطبيعة.

ومن اللافت للنظر، أنّ أنجلز يرى أنّ هناك تأثيراً إيجابياً للديانات على الوضع الاقتصادي لمجتمعاتها الأولية وهذا ما دفعه - أي أنجلز - إلى الإقرار بأنّ أسباب الشعور الدّيني ليست اجتماعية واقتصادية فحسب، وإلّا هي وسط أو عوان بين ذلك وقد قدّم أنجلز تحليلاً للنزاعات الدّينية في القرن السادس عشر من حيث طبقاته المتصارعة لكنّه يؤكد أنّ الأنظمة الدّينية لا تتمتع بمنطق خاص إذ هو يربطها بكل شيء تقريباً ويرى الكسيس دوتكفيل أنّ الدّين ليس نمطاً تقليدياً قديماً، بل هو عامل مهم حتّى في الحياة المعاصرة، ومن بين استنتاجاته في هذا المضمار أنّه لكي يتواجد المجتمع ويزدهر ينبغي أن تظل أفكار المواطنين مجتمعة دائماً عبر بضعة أفكار رئيسية وذلك لن يتحقق ما لم ينهل كل منهم أفكاره من المصدر ذاته، وعليه أن يتلقّى عدداً من المعتقدات الجاهزة، ويخلص توكفيل إلى أنّ للمجتمع مصلحة مشتركة في تكوين أفكار ثابتة عن الله والروح والواجبات العامة تجاه الخالق والناس تجاه بعضهم البعض، وأنّ إثارة الشك الدائم في هذه الأفكار قد يضع جهد المجتمع بالكامل بيد الصدفة ويدفع إلى الفوضى غير الخلاقة" ولا أجد ضرورة منطقية وموضوعية لتكرار ما ذكرته عن موقف علماء الاجتماع أو أصحاب المدرسة الاجتماعية في تفسير الدّين، فواجبنا هنا هو إعطاء تعريف عام لمصطلح علم الاجتماع الدّيني وليس ذكر تفاصيل عن المدارس الاجتماعية المختلفة.

الدكتور محمد بو الروايح

4- تاريخ الأديان: <sup>(1)</sup> وقوامه جمع عقائد وطقوس الأديان التاريخية كافة، أو عقائد وطقوس دين تاريخي معين، وشرحها ومقارنة بعضها ببعض.

5- علم النفس الديني: (ويتألف من دراسة الظاهرة الدينية من الناحية النفسية، ويقول جيب <sup>(2)</sup> عن هذا النوع من العلم الديني: " ماذا ينبغي أن نقول عن العاطفة الدينية التي تتحدث عنها طائفة كبرى من المؤلفات والكتب، وتعتبر عنصراً نفسياً محدداً؟، وقد أجاب (وليم جيمس) على تساؤله هذا بقوله: " إنَّ الباحثين في علم النفس وفي فلسفة الدين يحاولون تحديد الشعور الديني، أو العاطفة الدينية، فبعضهم يقرب هذه العاطفة من الشعور بالتبعية وآخرون يشتقونها من الخوف، وبعضهم يربطها بالحياة الجنسية، بينما يحددها آخرون بالشعور باللا نهاية. ترى هل يتحدثون جميعاً عن شيء نوعي محدد؟ إننا إذا قصدنا أن ندل بكلمة (عاطفة دينية) على جملة العواطف التي تثيرها مواضيع دينية، ربّما لن نجد من الناحية النفسية أي شيء نوعي يقابلها، هناك خوف ديني، وحب ديني، وفرح ديني، بيد أن الحب الديني لا يخرج على أن يكون حياً عادياً ذا موضوع ديني، والخوف الديني ليس سوى الخوف المبتدل حين يكون موضوعه فكرة العدالة الإلهية، والفرح الديني هو الرعدة العضوية التي تسيطر علينا مساء في جوف غابة مظلمة، أو في مضيق رهيب، والفرق الوحيد بين الحالين أن تلك الرعدة تستولي علينا بسبب فكرتنا عن عالم فوق الطبيعي، وكذا شأن سائر العواطف التي يمكن أن تعمر الحياة الدينية، ومن البديهي أن في وسعنا أن نتميز الانفعالات الدينية عن سائر الانفعالات، إذا نظرنا إليها نظرنا إلى أحوال شعور مشخص يضاف إليها موضوع نوعي، ولكننا لا نجد أي سبب حقيقي يحملنا على قبول هيجان ديني مجرد بسيط نفرض توافره بذاته داخل كل انفعال نفسي أولي متميز، أو نفرض ضرورة وجوده في التجارب الدينية كافة <sup>(3)</sup>.

ويرى بيير بوفه pierre bover أن دراسة التجارب الدينية لدى الطفل تقوده إلى تمييز العاطفة الدينية من سائر العواطف الشخصية ويتضح منها أن الخوف والحب هما الأساس الرئيسي لعاطفة الدين، وأنهم ينفردان بأن جذورهما راسخة كل الرسوخ في النفس الإنسانية، وبأنهما يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بميول أولية أو غرائز لا غنى عنها في استمرار النوع البشري: غريزة حفظ البقاء، وغريزة التناسل. فإذا نظرنا كما يضيف بوفه - إلى رأي هوفدينغ القائل بأن قوام الدين

<sup>1</sup>. سأتناول تعريف تاريخ الأديان وموضوعاته في مبحث خاص.

<sup>2</sup>. جيب، المرجع السابق، ص 57، 58..

<sup>3</sup>. المصدر نفسه، ص 57، 58..

## الدكتور محمد بو الروايح

الحفاظ على بقاء القيم، وهو رأي فلسفي في الواقع أكثر منه حيويًا، ألفينا الحفاظ على بقاء القيم إنما يتعلق بالوظائف التي تحققها هاتان الغريزتان في صعيد الحياة<sup>(1)</sup>.

ومما نعلق به على ما سبق أنّ العواطف النفسية أو المواقف الشخصية النفسية السلبية والإيجابية ليست أساساً في تمييز العاطفة الدينية، لأنّ هذه العواطف النفسية شعور إنساني عام يوجد لدى المتدين وغير المتدين، فإذا اعتبرناها علامة على وجود شعور ديني لدى المتدين فما عسانا أن نقول عن غير المتدين أو الذي لا يعرف شيئاً اسمه الدين، وهذا الرد يبيّن تهافت التفسير النفسي للدين الذي يصلح لدراسة أحوال النفس، ولكن لا يصلح بتاتاً لدراسة أحوال الدين والمتدينين .

**6- فلسفة الأديان:** ويعرفها جيب بقوله: "الفلسفة الدينية وتتألف من دراسة طبيعة الدين عبر الأديان وقد يتوغل علم الأديان وراء الدراسة المنطقية المنهجية، فيحدو حدو (الفينومولوجيا)<sup>(2)</sup> ولا يكتفي بإبراز أنماط الحياة الدينية

---

<sup>1</sup> جيب، المرجع السابق، ص 60.

<sup>2</sup> ويسمى عل الظاهرات أو الظواهر مشتق من *phenomène*، بمعنى ظاهرة.

## الدكتور محمد بو الروايح

وأشكالها كي يتعمق في ظواهر الدين في محاولة لفهمها فهماً صحيحاً على طريقة الفلسفة الظاهرية<sup>(1)</sup>. ولا بد من الإشارة إلى أنه من قبيل فلسفة الأديان، الدراسات الفلسفية التي قام بها أوريجين، وأفلاطون وغيرهم من الذين اتخذوا من الفلسفة أساساً لدراسة المسيحية في محاولة للتوفيق بين الفلسفة والدين - كما مرّ بنا - حينما تحدثنا عن منهج الأفلاطونية الجديدة.

## 7- علم الأنثروبولوجيا:

إنّ لفظ أنثروبولوجيا Anthropology ، هي كلمة إنجليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين، أنثر وبوس anthropos، ومعناه الإنسان ولجوس locos،

ومعناه علم وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ، علم الإنسان، أي العلم الذي يدرس الإنسان<sup>(2)</sup>. ولذلك تعرّف الأنثروبولوجيا، بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معينة... ويقوم بأعمال متعدّدة، ويسلك سلوكاً محدّداً، وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية والحياة الحديثة المعاصرة ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوّره عبر التاريخ الإنساني الطويل ولذلك يعتبر علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) علماً متطوراً يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله<sup>(3)</sup>. وتعرّف الأنثروبولوجيا أيضاً، بأنّها علم "الأناسة" العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنّه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلّها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يتميز عنها جميعاً<sup>(4)</sup>.

كما تعرّف الأنثروبولوجيا بصورة مختصرة وشاملة بأنّها علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً<sup>(5)</sup>، أي أنّ الانثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنّما تدرسه بوصفه كائناً اجتماعياً بطبعه، يجيا في مجتمع معيّن له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معينين.

<sup>1</sup>. جيب، المرجع السابق، ص 57.

<sup>2</sup>. Nicholson, c. 1968 anthropology and education, london p1.

<sup>3</sup>. أبو هلال أحمد، مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية، المطابع التعاونية الأردن، عمان 1974، ص 9.

<sup>4</sup>. الجباوي علي، الأنثروبولوجيا: علم الأناسة، جامعة دمشق، 1997، ص 9.

<sup>5</sup>. سليم شاكر، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت، 1981، ص 56.

## الدكتور محمد بو الروايح

فالأنثروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة، البيوفيزيائية الاجتماعية والثقافية، فهي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضها عن بعض، اختلاف علم التشريح عن تاريخ تطوّر الجنس البشري والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وقريبة ودينية وقانونية، وما إليها وكذلك عن الإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنوعة التي تشمل التراث الفكري وأمط القيم وأنساق الفكر والإبداع الأري والفني، بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة وإن كانت لا تزال تعطي عناية خاصة للمجتمعات التقليدية.

**تاريخ الأديان: مفهومه، نشأته، تطوره وأهم مدارسه.**

**مفهوم تاريخ الأديان:** يعرّف (أ. وروستون بيك E.Royston Pike تاريخ الأديان بقوله: "إنّه دراسة علمية وموضوعية تتناول ديانات العالم الماضية والحاضرة، وهذه الدراسة تتوخى دراسة الديانات في ذاتها واكتشاف ما يقوم بينها من نقاط تشابه واختلاف، واستخلاص مفهوم الدّين بوجه عام، عبر ذلك، وإيضاح السمات المتميّزة للشعور الدّيني)<sup>1</sup> ويقول جان باروزي J.Barozzi: "إنّ تاريخ الأديان دراسة علمية موضوعية تتناول أديان العالم المختلفة، الغابرة والحاضرة، غرضها دراسة هذه الأديان أولاً، والعمل ثانياً على كشف ما بينها من تشابه وتباين بغية الوصول إلى دراسة الدّين بذاته، أي مميّزات العاطفة الدينية.<sup>2</sup>

**نشأة تاريخ الأديان وتطوره:**

يشير المستشرق جيب إلى نشأة تاريخ الأديان بقوله "وقد ألعنا إلى نشأة هذا العلم الإنساني ولا سيما في أواخر القرن التاسع عشر، وقد لقي مقاومة شديدة من ممثلي اللاهوت المسيحي في الغرب الذين كانوا يرفضون أن يطرحوا على صعيد واحد ما يعتبر حقيقة دينية وما هو صادر عن ديانة زائفة، الحقيقة المنزلة الحقيقة اللامنزلة، ولعلنا نجد هذا النقاش ذاته حينما توجد كليات للشريعة في جانب كليات الآداب والعلوم الإنسانية، وهذه الكليات الأخيرة تقدم اليوم لتاريخ الأديان إطاراً سوياً ومجالاً للازدهار والتعمق".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - جيب ، المرجع السابق ،ص5.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ،ص 12.

<sup>3</sup> - جيب ، المرجع السابق ، ،ص 12.



## الدكتور محمد بو الروايح

وتاريخ الأديان كما يقول جيب علم تعترف به كل المدارس الفكرية الدينية وغير الدينية في الأساس مثل المدرسة الماركسية، فيقول: "غير أنّ الماركسية من ناحية أخرى، وهي تنفي أغراض تاريخ الأديان، لا تنكر هذا التاريخ بل تلجأ إلى دراسة الأديان دراسة علمية مقارنة لتبرهن على بطلان ما تدرسه، وتؤكد أنّ الدين أفيون الشعوب، والماركسية ترفض في الحق أن تكون للتدين صفة نوعية مميزة مادام للحدث الديني ذاته بنية فوقية يفسر في نظرها بالعامل الاقتصادي أولاً، والعامل السياسي والاجتماعي ثانياً.<sup>1</sup>

ويؤكد (مارسيل سيمون) أنّ هذين الموقفين، موقف اللاهوتيين المسيحيين في الغرب وموقف الماركسيين ليسا سوى موقفين أقصيين لم يمنعا نمو تاريخ الأديان نمواً واسعاً ولا سيما منذ مطلع القرن العشرين، وبوجه أخص منذ استخدام الطريقة الفنونولوجية كما جاء بها (هوسرل) مثلاً والتي استخدمها في علم الأديان أول مرة العالم (ليهمان Lehmann، والعالم ج. فاندراوو مثلاً في كتابه "فنونولوجيا الدين 1933 ثم اتسع استخدامها اتساعاً عظيماً، ومثلاً لدى رودلف أوتوه R.otto وجورج دوميزيل G.dumézil) وفي بحوث العلامة (مرسيا الياد Mircea Eliade) وبحوث يونغ yung، وبحوث الأستاذ (بوخ Buch) الخ.. وإنّ تاريخ الأديان العلمي ليرفض أن يكون خادماً للآهوت مثلما تأبى العلوم الإنسانية، والفلسفة المعاصرة بوجه عام أن تكون خادماً للعلم الوضعي ويتحدث جيب عن المسالك التي يسلكها تاريخ الأديان في دراسة الظاهرة الدينية والحوادث المتصلة بها فيقول: "إنّ تاريخ الأديان قد يسلك في دراسة الحوادث الدينية أكثر من سبيل، ففي وسعه أن يدرس البيانات المعينة من حيث صلتها بوسطها الخاص وينموها في ملبساتها التاريخية، وهذا هو بالمعنى الدقيق سبيله العام. ومن الجائز دراسة الحوادث الدينية باعتماد ضرب من المقطع الأفقي للأديان المختلفة لاستخلاص البنيات الأساسية المشتركة، والأشكال الرئيسية الأولى، في كلّ حياة دينية، واستنباط دلالتها العميقة من خلال التنوع الكبير في الظواهر الدينية من ذلك مثلاً دراسة مفهوم "المقدس" فكرة الله "الأسطورة" "الشعائر" "القربان" "التصوف" الخ.. وعلى هذا النحو يحلل الباحث الحوادث الدينية بغض الطرف عن موقعها في الزمان وفي المكان، وعن انتمائها إلى وسط ثقافي معطى، ويؤكد حسن حنفي على الطريقة الفنونولوجية في تاريخ الأديان فيقول: "وبعبارة أخرى، قد يستخدم تاريخ الأديان طريقة الفلسفة الظاهرية (فنونولوجيا) وقوامها بالأصل دراسة الظواهر كما هي معطاة في تجربة الشخص المباشر دراسة وصفية خالصة سعياً وراء تجاوز هذه الظواهر أو الأحداث للكشف عن البنية الجائمة فيها، وهي البنية التي تملك زمامها، وتسيطر عليها، بوعي أو بدون وعي أي أنّها لباب التجربة التي تهيمن على

<sup>1</sup> -المصدر نفسه ، ص12.

## الدكتور محمد بو الروايح

تحليلها فهذه الطريقة تغض الطرف عن العناصر التاريخية والمكانية، أي أنّها بحسب تعبير (هوسرل، تضع العالم الخارجي بين قوسين، فتخرجه من دائرة الاهتمام، وتعلق الحكم بشأنه ولا تنظر إلى الضروب المختلفة لتجلي حال نفسية إلاّ باعتبارها وجوهاً كثيرة من نمط واحد. إنّ "هوسرل يضع الله خارج الدائرة باعتبار أنّ الله من حيث هو موضوع حلّ في الشعور، مباطن فيه، ومن تمّ تظهر التفرقة الرئيسية بين التعالي والحلول: الموضوعات المتعالية هي الموضوعات المكانية، والموضوعات الحالّة هي الموضوعات الزمانية، الأولى خارج الدائرة والثانية داخل الدائرة، الأولى يقع عليها تعليق الحكم والثانية موضوع للبناء، وعلى هذا يستطيع الشعور أن يتناول موضوع الله من حيث هو موضوع حالّ فيه، أو من حيث أنّه شعور بالمطلق، أو حلول المطلق فيه، وهذا ما سمّاه (ماكس شيلر) بعد ذلك في فنومولوجيا الدّين باسم "الخلود في الإنسان"، ويرى شيلر أنّنا إذا وحدنا بين جميع الموضوعات الحالّة الطبيعية والأخلاقية والدّينية، لم يبق ثمة فرق بين دراسة الله باعتباره موضوعاً حالاً في شعوري وبين دراسة الكرسي أو المنضدة أو القلم باعتبارها مواضيع حية في الشعور أو بين دراسة الحياة والحجل وتأنيب الضمير.<sup>1</sup>

وبحسب ما ذهب إليه حسن حنفي فإنّه يمكن القول إنّ الطريقة الفنمولوجية في تاريخ الأديان تعيد بناء موضوعها في الذهن، وتطمح إلى بلوغ بنيات كلية لا تملكها الدّيانات المعيّنة إذا ما نُظر على انفراد، وفي وسعها بعد أن تستخدم على هذا النحو مواد التاريخ وأن تقيم البناء الذهني لموضوعها، في وسعها تفسير الحوادث ذاتها في ضوء بنياتها، إنّها تجهد مثلاً لإعادة بناء الغنوصية فيما وراء دراسة الغنوصيات.

وقد انتهى هوسرل كما ذكر حنفي إلى أنّ الدّين جزء من تصور العالم في الحضارة، ولم يحدث ذلك إبان العصور الحديثة وحدها، بل كان موجوداً في الحضارة اليونانية، فقد كان الموقف بالنسبة للآلهة وأنصاف الآلهة والشياطين جزءاً من الموقف العام في الحضارة اليونانية، ولكن لم تؤخذ على أنّها تصوّر مثالي، بل كانت تعبر عن وجود قوى أسطورية مختلفة، أو ترمز إلى موضوعات طبيعية في العالم، وهو ما يحدث في كل دين يقوم على آلهة خاصة لشعوب معيّنة لا تطرح أية مشكلات نظرية. إنّ للدّين الأسطوري جذوره في التاريخ، وهي ترتبط بالتكيف والتوافق مع البيئة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - جيب، المرجع السابق، ص 14، 15.

<sup>2</sup> - حسن حنفي، فنومولوجيا الدين عند هوسرل، مجلة الفكر المعاصر، العدد 65، تموز 1970، ص 12.

## الدكتور محمد بو الروايح

إنّ تاريخ الأديان يسمح بمعرفة الإنسان ونوازعه الدّينية الفطرية كما يقول جيب<sup>1</sup>: "ولكن دراسة الأديان وتاريخها تتيحان للفكر البشري أن يفهم الإنسان وهذا ما يصبغ اتجاه بعض المفكرين المعاصرين في البلاد العربية، ومنهم مالك بن نبي الذي أوضح في الظاهرة القرآنية، أنّ الدّين في ضوء القرآن يبدو ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان، وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة، وتتحكم في تطورها... ولذا فإنّ الدّين يبدو وكأنّه مطبوع في النظام الكوني قانوناً خاصاً بالفكر الذي يطوف في مدارات مختلفة، من الإسلام الموحّد، إلى أحط الوثنيات البدائية، حول مركز واحد، يخطف سناه الأبصار، وهو حافل بالأسرار إلى الأبد، وقد درس مالك بن نبي مذهبين في دراسة الدّين: المذهب الدّي يعتبر الدّين ظاهرة أصلية راسخة في الوجدان الإنساني، وهو بذلك أي الدّين عامل أساسي في كلّ حضارة، والمذهب الآخر الذي يعتبر الدّين مجرد عارض تاريخي للثقافة الإنسانية، ويخلص مالك بن نبي إلى أنّ الإسلام يضم الدّين في سجل الأحداث الكونية بجانب القوانين الطبيعية<sup>2</sup>، ولذا فإنّ المرء كلّما أوغل في الماضي التاريخي للإنسان في الأحقاب الزاهرة لحضارته، أو في المراحل البدائية لتطوّره الاجتماعي فإنّه يجد سطوراً من الفكرة الدّينية وأنّ قوانين الأمم الحديثة لاهوتية في أساسها، أما ما يطلقون عليهم قانونهم المدني فإنّه ديني في جوهره، ولا سيّما في فرنسا حيث قد اشتق من الشريعة الإسلامية<sup>3</sup>.

فالدّين عند مالك بن نبي ليس مجرد حدث تاريخي عارض، وإنّما هو سجل كوني للإنسان وحضارته الممتدة من العهود الأولى لوجوده إلى انتهائه، وبناء على ذلك فإنّ تاريخ الأديان بالمفهوم الذي أسّسه مالك بن نبي يتجاوز موضوعه رسم أو سرد الأحداث التاريخية للأديان وإنّما يتعداه إلى رسم صورة حضارية متسقة للإنسان.

ويجب أن نعتمد في دراسة تاريخ الأديان على أحدث ما نشره الباحثون في البلاد العربية أو الغربية أو غيرها، وأكثره اتّساماً بالسّمة العلمية التاريخية، وإن كانت هذه الطريقة قد منيت ببعض التخلف بالنسبة لتقدم الطريقة الفنونولوجية التي أشرنا إليها، فقد عجز تاريخ الأديان المقارن، أو الدّين المقارن، عن الاتّصاف بصفة الحذر والدّقة في بعض الأحيان، وربما اقتصر في الإشارة إلى تأثير دين في دين آخر على أحوال من التشابه قد يفسرها تماثل الوسط ومرحلة النمو بدون أن تقوم بين الدّينين علاقة تأثير صحيحة كعلاقة السّبب بالنتيجة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - جيب، المرجع السابق، ص 31.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، 1958، ص 30.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 28.

<sup>4</sup> - جيب، المرجع السابق، ص 34.

## الدكتور محمد بو الروايح

وحول موضوع مذهب تاريخ الأديان يرى جيب أنّ تاريخ الأديان يهدف إلى تفحص العاطفة الدّينية والشعور الدّيني بغض النظر عن الألوان الدّينية المختلفة، يفرض الباحثون أولاً أنّ الفكر البشري يقف موقف الحياد حيال الدّيانات الراهنة، ويسعى إلى دراستها دراسة موضوعية، فيعتبرها أشكالاً متباينة عن عاطفة التّدين، ويحاول إيضاح نشأتها التاريخية وتبيان أثرها في منحى تطوّر النوع البشري، ولا تذهب مثل هذه الجهود سُدى، لأنّ دراسة الدّين في إطار التاريخ تعين الإنسان على فهم الكون من جهة وتعين الفيلسوف بوجه خاص على فهم الإنسان.<sup>1</sup>

ومهمة تاريخ الأديان حسب جيب وغيرهم من الباحثين هو محاولة إيجاد الانسجام بين الأنا الشخصية الممثلة في الإنسان وبين العالم الخارجي، وفي ذلك يقول جيب: "والواقع أنّ للدّين تاريخاً هو تاريخ الأديان، فمهما أوغلنا في الرجوع إلى الماضي وجدنا ظلّ الآلهة حيثما نكتشف تراث الإنسان، وقد نشأ الدين في كل زمان ومكان، عن شعور الناس بالحاجة إلى البحث عن تركيب يقيم الانسجام بين الأنا الشخصية وبين العالم الخارجي، بل يقيم الانسجام بصورة أدق، بين هذه الأنا وبين القدرة التي يعزى إليها توجيه الأشياء جميعاً، بل وتوجيه المصير الإنساني الخاص."<sup>2</sup>

وقد نما تاريخ الأديان وازدهر في أواخر القرن التاسع عشر بوجه خاص، وواكب نموه وازدهاره نمو وازدهار أبحاث أخرى مثل التاريخ العام، والآثار، وعلم الاجتماع، ولا يزال تقدمه اليوم مطرداً يؤيد رسوخه ويزيد اتّصافه بصفة العلمية، بعد أن أعرض منذ عهد بعيد عن المسائل الميتافيزيقية مثل مسألة أصل العاطفة الدّينية ومصيرها وأفاد من تقدم سائر العلوم الإنسانية، ولاسيما طرائق الفلسفة الظواهرية (الغنومولوجيا).<sup>3</sup>

وينبغي أن تميّز في دراسة تاريخ الأديان بين نوعين من الأديان، وقد جرت العادة بتقسيمها إلى فئتين كبيرتين هما: فئة الدّيانات الموحدة التي لا تقرّ إلاّ بإله واحد، وفئة الدّيانات التعدّدية والمشركة، ولكن التّظر في تاريخ التوحيد أو التعدّد بالنسبة للأديان، لا ينبغي أن يبعدنا عن استجلاء نقاط الافتراق والاختلاف بينها، فمن شأن تاريخ الأديان كما ذكر باروزي<sup>(4)</sup> أن يدرس الوقائع الدّينية دراسة مقارنة انتقادية بالمعايير الموضوعية التي ذكرتها.

<sup>1</sup> - المصدر نفسه ، ص 69 ن70.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص 70.

<sup>3</sup> - جان باروزي ، مسائل تاريخ الأديان ، باريس ، 1935 ، ص 37.

<sup>4</sup> . المصدر نفسه ، ص 37.

## الدكتور محمد بو الروايح

ويؤكد جيب أنّ الديانات الموحدة ثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام. وهناك من يضيف إليها نزعة التأليه الفلسفي التي نادى بها بعض الفلاسفة والمفكرين مثل (روسو) وفولتير وديدرو والموسوعيين وأضربهم غير أنّ هذا التيار الفلسفي أعجز من أن يحقق القوّة العضوية النازمة التي تميّز الديانات التاريخية الشعبية.<sup>1</sup>

## المدارس المختلفة في دراسة تاريخ الأديان:

من الطبيعي أن يدرس الدّين من وجهات نظر مختلفة نجمعها على سبيل الاختصار في مدرستين اثنتين لا تتقاطع إحداهما مع الأخرى، نظراً لاختلاف الخلفية الدّينية ومنهج الدّراسة:

## أولاً: المدرسة الإسلامية في دراسة تاريخ الأديان:

وأفدّم بين يدي هذا الموضوع بما قدّم به محمد سيد أحمد المسير في بيان الاهتمام بدراسة الأديان ومنها تاريخ الأديان، والتي يمكن أن أوجزها كما يأتي:

- 1- لقد وجد المسلمون الأوائل منهم و المتأخرون تحفيزات كثيرة في القرآن الكريم تقوم على عرض العقائد الدّينية المختلفة والرّد عليها، وبيان العقيدة الصحيحة في ظل هذا الزخم العقائدي الدّي خرج أغلبه عن الجادة بسبب التحريفات والتأويلات الخاطئة والإضافات الشادة، كما هو الحال بالنسبة لليهودية والنصرانية.
- 2- تحمل المسلمون لأمانة التبليغ لرسالة الإسلام التي تنفرد بين الرّسالات بكونها رسالة عالمية، وهذه الأمانة تقتضي معرفة واقع الناس الفكري والعقدي كي يستطيعوا عرض الحقيقة ودفع الشّبّهة وإقامة الحجّة<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> -جيب ، المرجع السابق ، ص 79.

<sup>2</sup> محمد سيد أحمد المسير، المرجع السابق، ص 139.

إعداد : الأستاذ

30

مادة: تاريخ الأديان

الدكتور محمد بو الروايح

## الدكتور محمد بو الروايح

3- لقد عاش المسلمون في دولة الإسلام وعاش معهم وبين ظهراهم مواطنون ذميون وغير ذميين لهم أديان شتى وعقائد مختلفة، ووجد هؤلاء من الأمن والحرية ما دفعهم إلى مجادلة المسلمين والدخول معهم في مناظرات عقديّة، جعل المسلمون يُحثون تلك العقائد وينقبون عن خفاياها<sup>(1)</sup>.

4- لقد ماجت الدولة الإسلامية في عصورها المتعاقبة بحركة عقلية كبيرة نشطت في مجالات عدّة، أهمّها دراسة الأديان، فكان لا بدّ أن تكون لهذه الحركة العقلية ثمرات عملية واقعية تتمثّل في الكم الهائل من المؤلفات والمصنّفات الدنيّة الأخرى التي تلتقي أو تنتفي مع العقيدة الإسلامية، فكان لا بدّ من وجود علماء يخوضون غمار المناظرات الدنيّة بكفاءة عالية، وقد أثروا فعلاً الفكر الإنساني بنتاج ضخم وصفاً ونقداً، تحليلاً وتعقيباً، عرضاً ومناقشة<sup>(2)</sup>. ويمكن تقسيم الدراسات الإسلامية للأديان، ومنها تاريخ الأديان إلى مجموعة اتجاهات فكرية<sup>(3)</sup>.

1- اتجاه وصفي يقدّم الدّين والمذهب كما يراه أصحابه، ويدع لفطنة القارئ تمييز الطيب من الخبيث، والحق من الباطل، والهدى من الضلال.

ومن نماذج هذه الاتجاهات كتاب "الملل والنحل للشهرستاني، وكتاب "الفهرست" لابن النديم.

2- اتجاه نقدي يتعقب جوانب الضعف في الملة والدّين والنحلة، ويبرز الحجج التي يواجه بها المخالفين، وينتصر للإسلام.

ومن نماذج هذا الاتجاه كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري الأندلسي.

3- اتجاه دفاعي يواجه حملات التنصير التي تترىص بالمجتمع الإسلامي، وتثير الفتنة بين المسلمين فيأخذ شكل المناظرات والمحاورات والرّد على الشّبهات، ومن نماذج هذه الاتجاهات كتاب "مقامع هامات الصلّبان وروائع روضات الإيمان"، لأبي جعفر أحمد بن عبد الصّمد بن أبي عبيدة الخزرجي.

4- اتجاه اعترافي يقوم على بيان خطأ عقيدة سابقة، وضلال دين كان عليه صاحبه إلى أنّ هداه الله تعالى للإسلام وعرف نور الحقيقة ووصل إلى يقين الحق فأسلم لله وشهد له سبحانه وتعالى بالوحدانية ولمحمد- صلى الله عليه وسلم- بالرّسالة، وأثر أن يقدّم تجربته للآخرين ويعترف لهم بما نشأ عليه وبما صار إليه، ومن نماذج هذا الاتجاه كتاب "تحفة

<sup>1</sup>-محمد سيد أحمد المسير،، ص139.

<sup>2</sup>.المصدر نفسه، ص139.

<sup>3</sup>.المصدر نفسه، ص 139، 140.

## الدكتور محمد بو الروايح

الأريب في الرد على أهل الصليب " للقسّ الإسباني " أنسلم تور ميديا " المشهور بعبد الله الترجمان الأندلسي وكتاب " محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن " للقسّ السابق إبراهيم خليل فيليبس.<sup>1</sup>

وتنبغي الإشارة إلى أنّ الدراسات الإسلامية للأديان تنقسم بحسب الاعتبار الزماني إلى قسمين<sup>(2)</sup>.

**الدراسات القديمة:** وهي تلك التي أشرت إليها و المتمثلة في الإسهامات التي قام بها الشهرستاني وابن حزم وابن أبي عبيدة الخزرجي وغيرهم.

**- الدراسات الحديثة:** وهي تلك التي أشرت إليها والمتمثلة فيما كتبه المتأخرون أمثال إبراهيم خليل ويضاف إليه محمد مجدي مرجان وغيرهم، وقد أدرجت هؤلاء في عداد الدارسين المسلمين بحسب الحالة الاعتقادية التي صاروا إليها، وليس بحسب الوضع والموقف العقائدي الذي كانوا عليه قبل ذلك.

وسأحاول أن أقدم عرضاً عاماً لحمل هذه الدراسات القديمة والحديثة على سواء:

**الدراسات القديمة:****1- كتاب الملل والنحل للشهرستاني:**

(هذا الكتاب من أهم الكتب التي ألّفت في دراسة الأديان والمذاهب، ويقوم على المنهج الوسطي الذي يقدم الدين أو المذهب كما يراه أصحابه، وهو من تأليف الإمام الفيلسوف أبو الفتح محمد عبد الكريم ابن أحمد المعروف بالشهرستاني، نسبة إلى موطنه "شهرسان" المتوفى عام 548هـ عن عمر قارب السبعين)<sup>(3)</sup>.

وقد جاء في مقدمة كتاب " الملل والنحل " : " فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم من أرباب الديانات والملل و أهل الأهواء والنحل، والوقوف على مصادرهما، ومواردها، واقتناص أوانسها وشوا ردها، أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون عبرة لمن استبصر واستبصاراً لمن اعتبر " .<sup>4</sup>

وقد أبان الشهرستاني في " الملل والنحل " على المنهج الذي انتهجه في دراسة الملل والنحل المختلفة حيث يجمل ذلك بقوله: " وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كلّ فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصيب لهم ولا كسر عليهم

<sup>1</sup> - المصدر نفسه ، ص 140 .

<sup>2</sup> محمد سيد أحمد المسير ، ص 140 .

<sup>3</sup> المصدر نفسه ، ص 142 .

<sup>4</sup> - الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، ط 9 ، دار الفكر ، المقدمة .



## الدكتور محمد بو الروايح

دوني أن أيبّن صحيحه من فاسده، وأعين حقه من باطله، وإن كان لا يخفى على ذوي الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل، وبالله التوفيق<sup>(1)</sup>.

وقد بدأ الشهرستاني كتابه بالحديث عن ديانات المسلمين، وعن زعماء الفرق الدينية الإسلامية المختلفة، وجعلها أربعاً: هي: القدرية، الصفائية، الخوارج، الشيعة، ولا أريد أن أتحدث عن هذه الفئات والجماعات، لأنها لا تعني في دراسة تاريخ الأديان شيئاً، لأنّ الأصل والأهم أن نركّز على العقائد المخالفة حتى تكون لدراسة تاريخ الأديان معنى، وفي هذا الصدد فإنّ الشهرستاني جعل الباب الثاني من الكتاب خاصاً بأهل الكتاب وعرفهم بأنهم الخارجون عن الملة الحنيفة والشريعة الإسلامية.

وليس مصطلح الشريعة الإسلامية وصف للشريعة الخاتمة، وإنما هو وصف للشريعة الإلهية التي أنزلها على أنبيائه، وتعبّد بها الناس من قديم، وقد أشرت إلى المعنى العام الشامل لاسم الإسلام، كما قرّرت الآية الكريمة: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه"<sup>(2)</sup>.

وقد قسّم الشهرستاني أهل الكتاب<sup>(3)</sup> إلى قسمين: اليهود والنصارى ثمّ ذكر آراءهم ومعتقداتهم وكتابهم وفرقهم وما أجمعوا عليه، وبعد الفراغ من الحديث عن أهل الكتاب، طفق الشهرستاني يتحدث عن بعض الملل التي تمتلك شبهة كتاب، بمعنى أنّها ليست مللاً اعتقادياً بالمعنى الصريح، أي أنّها ليست منزلة ولو كانت محرّفة، وليست مللاً ذات قواعد وعقائد محدّدة وقد عني بمؤلّاء المجوس والمانوية فهم حسب اعتقاده حسب اعتقاده بقايا الديانة الحنيفة أو الملة الحنيفة وهم على ذلك يجوزون عقد الذمة، ويعاملون معاملة اليهود والنصارى لكن لا تجوز منا كحتهم ولا أكل ذبائهم. وقد تكلم الشهرستاني أيضاً عن أهل الأهواء والنحل من الصائبة والفلاسفة وآراء العرب في الجاهلية وآراء الهند، وجعلهم يقابلون أرباب الديانات تقابل التضاد، وذكر أنّ اعتمادهم على الفطر السليمة والعقل الكامل والذهن الصافي<sup>(4)</sup>.

يقول الشهرستاني: "إنّ التقسيم الضابط هو: "من الناس من لا يقول بمحسوس ولا معقول وهم السوفسطائيون، ومنهم من يقول بالمحسوس ولا يقول بالمعقول وهم الطبيعيون، ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول، ولا يقول بحدود

<sup>1</sup>. المصدر نفسه، ص 14.

<sup>2</sup> - الشورى 13.

<sup>3</sup>. اليهود والنصارى هم وحدهم "أهل الكتاب لا يندرج تحت هذا الاسم غيرهم من أهل الأديان و الملل فهذا هو صريح القرآن انظر:

ناصر المنشاوي، الجوانب الخفية من حياة المسيح، توزيع الحواري للتراث، مصر 2003، ص 33.

<sup>4</sup>. محمد سيد أحمد المسير، المرجع السابق، ص 149.

## الدكتور محمد بو الروايح

وأحكام وهم الفلاسفة الدهريون، ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام، ولا يقول بالشريعة الإسلامية وهم الصائبة، ومنهم من يقول بهذه كلها وبشريعة ما وإسلام، ولا يقول بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهم المجوس واليهود والنصارى، ومنهم من يقول بهذه كلها وهم المسلمون<sup>(1)</sup>

وقد تحدّث الشهرستاني في الفصل الرابع في "الملل والنحل" عن المتأخرين من فلاسفة الإسلام، واهتم فيه بابن سينا وحده باعتباره علامة القوم وطريقته أدق، ونظره في الحقائق أغوص ونقل كلام ابن سينا في المنطق والإلهيات والطبيعات، وأعرض الشهرستاني عن نقل طرق الباقيين من الفلاسفة وقال: كلّ العبيد في جوف الفرا. <sup>(2)</sup>

وتحدّث الشهرستاني في الباب الرابع والأخير من "الملل والنحل" عن معتقدات وأراء الهنود، وذكر فيه أنّ الهند أمّة كبيرة، وملة عظيمة، وآراؤهم مختلفة، وجعل هذا الباب خمسة فصول شملت البراهمة وأصحاب الروحانيات وعبدة الكواكب وعبدة الأصنام وحكماء الهند<sup>(3)</sup>.

وقد ختم الشهرستاني كتابه "الملل والنحل" بهذه العبادة: "هذا ما وجدته من مقالات أهل العلم ونقلته على ما وجدته، فمن صادف فيه خلافاً في النقل فأصلحه أصلح الله عزّ وجلّ بفضلته حاله وسدّد أقواله وأفعاله، وهو حسينا ونعم الوكيل والحمد لله ربّ العالمين وصلواته على سيد المرسلين محمد المصطفى وآله الطيّبين الطاهرين، وصحابته الأكرمين وسلم تسليماً كثيراً<sup>(4)</sup>".

ويمكن بناء على ما ذكرته أن أخص منهج الشهرستاني في دراسة الأديان على النحو الآتي:

- 1- إنّ الشهرستاني قدّم مسحاً تاريخياً شاملاً لكلّ الديانات التي دانت بها الجماعات الدّينية المختلفة، وعرضها في سياق تاريخي مشوق وقالب لغوي ممتع إذ يقدّمها بطريقة سلسلة لا تحجب عن الإنسان أدق التفاصيل ومجمل المسائل.
- 2- إنّ الشهرستاني كما أسلفت في كتابه "الملل والنحل" قد اعتمد على المنهج الوصفي الواقعي والموضوعي في دراسة تاريخ الأديان، ويؤكد هذا قوله في الخاتمة: "هذا ما وجدته من مقالات أهل العلم، ونقلته على ما وجدته"، وهذا يدل على أنّ الشهرستاني قد التزم بالموضوعية والحيادية في تناول الديانات والعقائد من غير زيادة على أصلها، أو تهاوين من شأنها.

<sup>1</sup>. الشهرستاني، الملل والنحل، ص 258.

<sup>2</sup>. المصدر نفسه، ص 258..

<sup>3</sup>. المصدر نفسه، ص 151.

<sup>4</sup>. الشهرستاني، المرجع السابق، الخاتمة.

الدكتور محمد بو الروايح

## 2- كتاب " الفصل في الملل والأهواء والنحل "

هذا الكتاب ون أهم الكتب في الجدل الدّين؟، وهو قائم على المنهج النقدي الدّبي يتعقب الأديان والمذاهب بالمناقشة الموضوعية، والتحليل العميق وإيراد الحجج والبراهين<sup>(1)</sup>.

وصاحب الكتاب هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المولود في قرطبة عام 384هـ، المتوفى عام 456

هـ.

وقد ذكر ابن حزم في مقدمة الكتاب السبب الذي دفعه إلى تأليفه فقال: " فإنّ كثيرا من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم ومقالاتهم كتباً كثيرة جداً، فبعض أطال وأسهب وأكثر و هجر، واستعمل الأغاليظ والشغب، فكان ذلك شاغلاً عن الفهم وقاطعا دون العلم، وبعض حذف وقصر، وقلل واختصر، وأضرب عن كثير من قوى معروضات أصحاب المقالات، فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أنّ لا يرضى بالغبن في الإبانة، وظالماً لخصمه في أنّ لم يوفه حق اعتراضه، باخسا حق من قرأ كتابه إذ لم يغنه عن غيره، وكلهم -إلا تحلة القسم- عقد كلامه تعقيداً يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم، وحلّق على المعاني من بعد، حتّى صار ينسى آخر كلامه أوله<sup>(2)</sup>.

وإذا عرضت على كثير من التفاصيل التي ساقها ابن حزم عن الفرق الفلسفية والذهرية المختلفة، ورّكزت في المقابل على ما ذكره عن أهل الديانات التي تسمى سماوية -بحسب وضعها الأول قبل التحريف،- فإنّني أجده يتحدّث عن النصراني وعن فرقهم فيقول إنّهم لا يعرفون بالتوحيد مجرداً بل يقولون بالثلاثية، وأدار الحوار مع الملكانية واليعقوبية في تصوراتها حول طبيعة المسيح، وأثبت بطلان زعمهم وأنّها كلها محال<sup>(3)</sup>.

وتحدّث ابن حزم عن المنكرين للنبوة فأكد ضرورة النبوة وأنّها اصطفاء رباني، يراعي الحكمة والفضيلة والعقيدة التي ينبغي أن تكون ن صفات الأنبياء، وحمل في ذلك على كلّ من ينفي هذه الفضيلة وهذه العصمة، لأنّ في نفيهما نفي النبوة<sup>(4)</sup> في الأساس وقد ذكر ابن حزم أنّ هناك اتّصالاً لا انفصاماً بين الفلسفة والدين فقال: " الفلسفة على الحقيقة إنّما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلمها، ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس بأن تستعمل في دنياها الفضائل وحسن

1. محمد سيد أحمد المسير، المرجع السابق، ص153.

2. ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل تحقيق محمد إبراهيم نظر وعبد الرحمن عميرة ط عكاظ1402هـ، ص35.

3. محمد سيد أحمد المسير، المرجع السابق، ص155.

4. محمود ماضي، عصمة الأنبياء بين اليهودية والمسيحية والإسلام، مكتبة الإيمان، الإسكندرية من دون تاريخ، ص51 وما بعدها.

## الدكتور محمد بو الروايح

السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعاد، وحسن السياسة للمنزل أو الرعية، وهذا لنفسه لا غيره هو الغرض في الشريعة، هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من العلماء بالفلسفة ولا بين أحد من العلماء بالشريعة<sup>(1)</sup>.

وقد انتقل ابن حزم من الحديث عن النصارى وفرقهم إلى الحديث عن اليهود وعن الفرق اليهودية، فقسمها إلى

خمس فرق:

1- **السامرية**: وهؤلاء لا يعرفون حرمة لبيت المقدس وينقلون التقديس إلى مدينة نابلس ولهم تورا<sup>(2)</sup>، غير التوراة التي بأيدي اليهود، ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى ويوشع، عليهما السلام.

2- **الصدوقية**: وينسبون إلى رجل يقال له "صدوق" وهم يقولون إنَّ العزيز هو ابن الله تعالى -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: "وقالت اليهود عزيز بن الله"<sup>(3)</sup>.

3- **العنانية**: وهم أصحاب "عان" وتسميهم اليهود القرائين، لأنَّ نخلتهم الدينية نحلة عبادة طقوسية، ولا ينفدون شرائع التوراة وما جاء في كتب الأنبياء، ويتبرءون من قول الأحرار ويكذبونهم.

4- **الربانية**: وهم القائلون بأقوال الأحرار، ولعلَّ هذا هو السبب في أنَّ القرآن الكريم قد جمع بينهم في قوله تعالى: "إنَّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحرار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء"<sup>(4)</sup>.

5- **العيسوية**: وهم أصحاب أبي عيسى الأصفهاني، ويقولون بنبوة عيسى بن مريم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ويقولون إنَّ عيسى بعثه الله عزَّ وجلَّ إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل و أنه أحد أنبياء بني إسرائيل، وأنَّ محمداً -صلى الله عليه وسلم- نبي أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بني إسرائيل وإلى سائر العرب.

وأكد ابن حزم أنَّ سائر الأنبياء الذين ذكروا في التوراة الحالية، ولا نعرفهم في القرآن لا نقطع بصحة نبوته، ونقول آمنا بالله وكتبه ورسله<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> ابن حزم، المرجع السابق، ج 1، ص 171.

<sup>2</sup> وتسمى توراتهم التوراة السامرية وقد ظهرت على يد عالم إيطالي عام 1609م تقريبا وكتب المحققون عنها بحثا طويلا، واتفقت كلمتهم على أنَّها تخالف التوراة العبرانية في بعض المواضع، انظر: أحمد حجازي السقا، المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين الشيخ أحمد ديدات والقسيس سوا جارت، مكتبة رحاب، الجزائر، ص 77 وما بعدها.

<sup>3</sup> التوبة 30.

<sup>4</sup> المائدة، 44.

## الدكتور محمد بو الروايح

وقد تطرق ابن حزم<sup>(2)</sup> إلى موضوع المسيح، الذي أثار جدلاً كبيراً بين الطوائف اليهودية فقال: "إنهم لا يثبتون على رأي واحد ومذهب واحد بشأنه، وأما المسلمون فهم فيه على أقسام فأمل ضرار بن عمرو وسائر فرق الخوارج فإنهم ينفون فكرة الدجال جملة، وأما سائر فرق المسلمين فلا ينفون ذلك، ولكن يقولون إن العقائد المذكورة عنه إنما جاءت بنقل الآحاد.

وقد ساق ابن حزم<sup>(3)</sup> أكاذيب التوراة، وعرض بالتفصيل لكيفية تحريف التوراة ووصف حالها من أول دولتهم، أي اليهود إثر موت موسى عليه السلام، إلى انقراض دولتهم، إلى رجوعهم إلى البيت المقدس، إلى أن كتبها لهم عزرا الوراق وقد تعرّض ابن حزم إلى قضية أساسية تثير إبهاماً وإشكالاً كبيراً، وهي كيف يستقيم القول بتحريف التوراة والإنجيل مع أن المسلمين يستشهدون على اليهود والنصارى بما فيهما من ذكر صفات النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد أجاب ابن حزم بأن كفار بني إسرائيل بدلوا التوراة والزبور فزادوا ونقصوا وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء<sup>(4)</sup>، "لا يسأل عما يفعل وهم يسألون"<sup>(5)</sup>. ولا يختلف ما قرره ابن حزم بشأن تعريف التوراة والإنجيل مع ما قرره ابن قيم الجوزية<sup>(6)</sup> إن هذه التوراة التي بأيدي اليهود فيها من الزيادة والتحريف والنقصان ما لا يخفى على الراسخين في العلم، وهم يعلمون قطعاً أن ذلك ليس في التوراة التي أنزلها الله على موسى، ولا في الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح، وكيف يكون في الإنجيل الذي أنزله على المسيح قصة صلبه وما جرى له، وأنه أصابه كذا وكذا، وأنه قام من القبر بعد ثلاث، وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى".

<sup>1</sup>. ابن حزم، المرجع السابق، ج 1، ص 191.

<sup>2</sup>. ابن حزم، ج 1، ص 191.

<sup>3</sup>. محمد سيد أحمد المسير، المرجع السابق، ص 158.

<sup>4</sup>. المصدر نفسه، ص 158، 159.

<sup>5</sup>. الأنبياء 23

<sup>6</sup>. ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى، دار القلم، دمشق، ط 1996، ص 309.

الدكتور محمد بو الروايح

## الدراسات الإسلامية الحديثة:

## كتاب: محمد صلى الله عليه وسلم في "التوراة والإنجيل والقرآن"

هذا الكتاب من تأليف القس السابق إبراهيم خليل فيلبس، وق ساق المؤلف في مقدمته، كما ذكر علي حسب الله الأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة سابقاً - أربعة عناصر أو محفزات بالأحرى دفعت به إلى سكة الإيمان وهي:

## 1- الوجدانية:

حيث أنّ وجود هذا الكون بما فيه من نظام محكم، وتناسق دقيق، يقتضي عقلاً وجود موجد متّصف بكل صفات الكمال التي تلائم دقة نظامه وإحكام تناسقه، وهذه قضية سهلة لا التواء فيها، ومن زعم أن الكون لا خالق له فهو مكابر، يعترف بالأثر وينكر المؤثر، ومن زعم أن له أكثر من خالق فعليه الدليل، ولن يجد دليلاً على وجود معدوم، وإذا نكن مطالبين بإقامة الدليل على نفي التعدد، لأنّ المطالب بالدليل هو المثبت لا النافي - فقد تفضل العليم الحكيم على المنحرفين القائلين بالتعدّد بالتنبيه على ما في مقالاتهم من فساد بقوله سبحانه وتعالى: " لو كان فيهما آلهة إلى الله لفسدتا<sup>(1)</sup>، وبهذا التقرير في العقل ما قرره القرآن الكريم في قوله سبحانه: " قل هو الله أحد الله الصّمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد"<sup>(2)</sup>. ويقابل هذه العقيدة السهلة السمحة في الإسلام - عقيدة التثليث المعقدة في المسيحية التي تنزل الله من عليائه ليحل في بعض خلقه، أو ترفع بعض المخلوقين إلى منزلة الخالق، ممّا يبيلب أفكار عامة الناس ويحير جهابذة العلماء<sup>(3)</sup>.

ويقرظ الأستاذ علي حسب الله إبراهيم خليل أحمد بقوله: " وقد بيّن السيد إبراهيم في بحثه أنّ هذه العقيدة - أي عقيدة التثليث - دخيلة على المسيحية، وليس لها وجود في الأصل اليوناني للإنجيل، بل هي مأخوذة من الوثنية الفرعونية، والمبادئ البابلية التي وجدت في لوحة أثرية عثر عليها في بابل، ويرجع تاريخها إلى 1200 ق.م ولم تقرّر هذه العقيدة عند المسيحيين إلاّ في مجمع نيقية المنعقد سنة 325م، بدعوة من الإمبراطور قسطنطين بسبب الخلاف بين الأسقف آريوس والشماس أثناسيوس الإسكندرانيين<sup>(4)</sup>.

1. الأنبياء: 22.

2. الإخلاص: 1.

3. إبراهيم خليل أحمد، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، دار المنار، ط 1989، ص 17.

4. المصدر نفسه، ص 17.

## الدكتور محمد بو الروايح

ويقول إبراهيم خليل أحمد إن مخطوطات البحر الميت كشفت زيف عقيدة التثليث والعقائد النصرانية الأخرى الباطلة حيث يقول: "وقد اكتشفت حديثاً فوق هضبة بجوار البحر الميت، مخطوطات يرجع تاريخها إلى سنة 100 ق.م فيها معلومات تصحح الفكرة الخاطئة عن ألوهية المسيح عليه السلام، وقد أرسل الدكتور تر يفور صورة منها إلى الدكتور: و.ف ألبرايث- وهو حجّة في علم آثار الإنجيل- فهنأه على هذا الكشف وقال: "لا يشك أحد في العالم في صحة هذه المخطوطات التي ستحدث ثورة في فكرتنا عن المسيحية"، ويأخذ من هذه المخطوطات أنّ عيسى عليه السلام ابن الإنسان وليس ابن الله كما ادّعى أتباعه من قبل<sup>(1)</sup>.

**2- مسألة الغفران:** وقد قال عنها علي حسب الله في تقريره لكتاب إبراهيم خليل أحمد، إنها صلب العقيدة المسيحية حيث يقول: "أما في المسيحية: بدون سفك دم لا تحصل مغفرة"<sup>(2)</sup>. و"أحبّ الله العالم حتى بذل ابنه الحبيب لكيلا لا يهلك كلّ من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية"<sup>(3)</sup>، وهو كلام تظهر عليه مسحة الوضع البشري، لاستهواء أفئدة العامة، وحملهم على حب المسيح والإيمان، ولا يدري عاقل كيف يصل العجز بالإله إلى الحدّ الذي لا يستطيع معه أن يغفر للبشر إلا بتقديم ابنه الحبيب قرباناً، فإلى من يتقرب؟ وإلى من يتقدم بالرجاء؟ وكيف تغفر الذنوب بالنسبة للسابقين واللاحقين بتقديم ابنه قرباناً؟ وهل هذا إلا فتح لباب المعصية في المستقبل اعتماداً على هذا الغفران<sup>(4)</sup>.

**3- المساواة بين الناس:** فبعد أن أصّل إبراهيم خليل أحمد هذه المساواة من القرآن والسنة، بدأ يعرض ما تقوله الأناجيل في هذه المسألة فيقول: "أما الأناجيل الموضوعة فقد ورد فيها تفاخرهم بأنهم أولاد حرة لا أولاد أمة:" إذن لسنا أولاد جارية، بل أولاد حرة<sup>(5)</sup>، و لا يزال لهذا المعنى رواسب في نفوس القوم إلى اليوم، يظهر أثرها في التفرقة العنصرية في أمريكا وجنوب إفريقيا<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup>- إبراهيم خليل أحمد، ص 18.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص 19.

<sup>3</sup>. يوحنا 3 : 16.

<sup>4</sup> إبراهيم خليل أحمد، ص 19.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، ص 20.

<sup>6</sup>. المصدر نفسه، ص 21.

الدكتور محمد بو الروايح

**4- البشارة بمحمد- صلى الله عليه وسلم:**

وقد جاء في كتاب إبراهيم خليل أحمد أنّ هذه البشارة وردت في التوراة والإنجيل، ولا أريد أن أكرّر النصوص الدالة على ذلك فقد ذكرتها وبسطتها آنفاً، ولكن يكفي أن أذكر ما قاله إبراهيم خليل بشأن نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم- بناء على ما كشفت عنه مخطوطات البحر الميت: "ويأخذ من المخطوطات التي عثر عليها بجوار البحر الميت كذلك أنّ عيسى كان مسياً المسيحين<sup>(1)</sup>، وأنّ هناك مسياً آخر سيأتي بعده، وقاله عنه المسيح: "ومتى جاء المعزى (البار قليط) فهو يشهد لي، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء بعده وشهد له وأنصفه ودافع عنه و عن العقيدة الصحيحة التي جاء بها.<sup>2</sup>

وقد استدلل إبراهيم خليل أحمد بما قاله برنابا ممّا يتفق مع ما حوته المخطوطات التي تمّ العثور عليها في البحر الميت، فيما سميّ "مخطوطات البحر الميت" جاء في كتاب إبراهيم خليل أحمد على لسان علي حسب الله: "وقد جاء في إنجيل برنابا الذي استبعده الكنيسة في عهدها الأول، وحرّم البابا جلاسيوس قراءته سنة 492م ما يؤيد هذه المخطوطات ويوضح ما فيها من إجمال: "فلما كان الناس قد دعوني الله، وابن الله على أي كنت بريئاً في العالم- أراد الله أن يهزأ الناس في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنّي أنا الذي متّ على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين في يوم الدينونة، وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله، متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله<sup>(3)</sup>.

وبهذا تكون البشارة في الإنجيل مطابقة للبشارة في التوراة، فللبشرية نبي كموسى، من وسط اخوتهم، وينزل عليه كتاب يكلم الناس بما فيه، وهو روح الحق لا يتكلم ع من نفسه و لكن من قبل الله الذي أرسله. ويجوي كتاب "محمد في التوراة والإنجيل والقرآن" عشر مباحث على النحو الآتي:

**1- التوراة والإنجيل يبيّان بعث الرسول الكريم:**

أمّا ما تذكره التوراة فقد ذكر إبراهيم خليل أحمد النصّ من سفر التثنية: "جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتألّأ من جبل فاران"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>. المسيا كلمة آرامية معناها رسول. انظر: إبراهيم خليل أحمد، المرجع السابق، ص 21.

<sup>2</sup> - إبراهيم خليل أحمد، المرجع السابق، ص 21.

<sup>3</sup>. برنابا 4: 220.

<sup>4</sup>. التثنية 33: 3.



## الدكتور محمد بو الروايح

وقد ربط إبراهيم خليل هذا النص التوراتي بقوله تعالى: " والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين<sup>(1)</sup> ، فقال في المطابقة: " ومن هذه الآية الكريمة نجد تطابقاً كاملاً في الوسيلة والتعبير، إذ أقسم الله تعالى ببقاع مباركة عظيمة ظهر فيها الخير والبركة في ، فالتين والزيتون مجاز عن منابتهما بالأرض المباركة وفيها مهجر إبراهيم ومولد عيسى ومسكنه عليهما السلام، وطور سنين ، الجبل الذي كلم الله عليه سيدنا موسى عليه السلام والبلد الأمين مكة المكرمة التي ولد فيها وبعث منها أشرف الخلق وهو سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- وفيها البيت العظيم، والتطابق بين الآية التي وردت في التوراة والآية القرآنية هو: سيناء مجاز عن الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وسعير مجاز عن الأرض المباركة التي ولد فيها سيدنا عيسى عليه السلام، وسكن بها وجال فيها يصنع خيراً للبشرية، وفاران مجاز عن الأرض التي سكن إليها جدّ الرسول الكريم سيدنا إسماعيل عليه السلام. والأمر الذي يسترعي الانتباه هو: كيف نستدل على أن فاران هي الأرض المباركة التي سكن فيها سيدنا إسماعيل جدّ الرسول الكريم عليهما أفضل الصلاة والسلام ؟ والدليل على هذا من التوراة في سيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع زوجته سارة وهاجر، لقد كانت هاجر جارية للسيدة سارة وصارت زوجة لسيدنا إبراهيم عليه السلام لإنجاب نسل له، وظنت السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم أن مهمة جارتها السيدة هاجر هي إنجاب نسل مع بقائها جارية تسخرها السيدة سارة كيف شاءت وأرادت وأنجبت السيدة هاجر لإبراهيم وكان هذا الابن قرّة عينيهما وبهجة قلبها، لكن الزمن لم يرحمها فأذلتها سيدتها السيدة سارة، وخضعت هي لها وازدادت السيدة سارة إذلالاً لها وتعتناً فاستجارت بزوجها إبراهيم عليه السلام لكتة تركها لسيدتها سارة بقوله لها " هو ذا جارتك" فاشتدت بها إيلاًماً وإيذاءً حتى هربت ترحو النجاة ممّا ألمّ بها ، فقابلها ملاك الله في الطريق فقال لها الملاك: مالك يا هاجر ؟ لا تخافي لأنّ الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو، قومي احملني الغلام وشدي يدك لأني سأجعله أمة عظيمة وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت قربة ماء وسقت الغلام وكان الله مع الغلام، فكبر وسكن في البرية، كان ينمو رامي قوس، وسكن في بيرة فاران، وأخذت له أمة زوجة من أرض مصر<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>. التين 1 . 2 . 3.

<sup>2</sup>. التكوين، 21 : 17 ، 21

## الدكتور محمد بو الروايح

وبعد هذا يعلق إبراهيم خليل أحمد مع ما تقوله التوراة بقوله: "فيتضح من التوراة إذن أنّ الذي سكن أرض فاران هو سيدنا إسماعيل عليه السلام، ولعلّ الله في حكمته سمح بهذه التيارات التي تفاعلت في بيت إبراهيم عليه السلام ليستقر إسماعيل في أرض يتمييز بها، وتأتي نبوءة على لسان موسى عليه السلام بقوله "تلاًماً من جبل فاران"<sup>(1)</sup>.

وينتقل إبراهيم خليل أحمد من التوراة إلى الإنجيل لإثبات صحّة ما نقل فيه من البشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرتها في موضع سابق ولا أريد تكرارها، ولكن حسبي أن أذكر ما ورد في يوحنا: "إنّ لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون الآن أن تحملوا، وأمّا متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدك إلى جميع الحق، لأنّه لا يتكلم من نفسه، بل كلّ ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية"<sup>(2)</sup>.

ويربط إبراهيم خليل أحمد بين قول عيسى في هذه العبارة الإنجيلية وبين قول موسى في العبارة التوراتية التي سلفت فيقول: "ولعلّك أيها القارئ العزيز تستطيع أن تجمع بين قول عيسى في هذه الآية، وقل موسى في الآية التي وردت آنفاً" وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكلّ ما أوصيه به فتجد الأضواء تسلط على نبي سيأتي من هذا النبي؟ لم يكن موسى، ولم يكن عيسى، فمن هذا النبي الكريم؟ إنّ الأضواء تتجمع في بؤرة واحدة لتكشف عن شخصية هذا النبي ولعلّ سيدنا عيسى عليه السلام يزيد وضوحاً في تعريفه لهذا النبي فيخبرنا عنه أنّه "روح الحق" ولسيدنا محمد أسماء منها "روح الحق"، ويحدثنا الله عن الرسول الكريم فيقول: "وما ينطق عن الهوى إنّ هو إلّا وحي يوحى علمه شديد القوى"<sup>(3)</sup>. وهذا يتفق مع قول الرسولين الكريمين: عيسى وعيسى عليهما السلام: إنّ لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به" وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به"<sup>4</sup>.

**2- المسائل التي اختلف عليها أهل الكتاب: وقد استهل بقوله تعالى: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتّى تتبّع ملتهم، قل إنّ هدى الله هو الهدى"<sup>(5)</sup>.**

ثمّ تحدّث إبراهيم خليل أحمد عن العداوة التاريخية المستحكمة بين العرب وإسرائيل فقال: "إنّ العداوة القائمة بين العرب وإسرائيل عداوة قديمة قدم الزمن فمنابتها منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وجذورها تتأصل في قلب السيّدة

<sup>1</sup>. الثنية، 33 : 3.

<sup>2</sup>. يوحنا 16: 12، 13.

<sup>3</sup>. النجم 3

<sup>4</sup> - الثنية 18

<sup>5</sup>. البقرة 120.

## الدكتور محمد بو الروايح

الأولى في تاريخ الإيمان وهي السيّدة سارة، وسهام هذه العداوة موجهة إلى السيّدة الوديعة المطمئنة، التي شاء القدر أن تصير لها جارية، وهي السيّدة هاجر.<sup>1</sup>

ويضيف إبراهيم خليل أحمد: "توارث الإسرائيليون هذه العداوة من جيل إلى جيل حتى كان عهد الحوارين، فقال بولس المدعو رسولاً لشيعة النصارى: "ماذا يقول الكتاب؟ اطرد الجارية وابنها، لأنّ لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرّة إذن أيها الإخوة لسنا أولاد جارية، بل أولاد حرّة".<sup>2</sup>

ومن المسائل التي اختلف حولها أهل الكتاب اختلافهم حول المسيح المخلص وزعمهم بأنّه سيكون ملكاً من نسل داود فلما جاءهم المسيح كفروا به، يقول إبراهيم خليل أحمد: "وأخذوا(أي اليهود) يتشبثون بأهداب الآمال العريضة في مولد ملك من نسل داود، يخلصهم من نير الرومان، ويتسلط على الأرض، ويمتلكون معه، ويقيم لهم إمبراطورية كونية قاعدتها أورشليم (بيت المقدس) ويجعل منهم العنصر الحاكم، وأطلقوا على المخلص المرتقب اسم المسيح... ويأتي المسيح عليه السلام فيستنكر هذا كله".<sup>3</sup>

1- أمّا عن الإمبراطورية الإسرائيلية، فإنّ المسيح يقوض هذا الزعم بهذه الحقيقة في قوله: "يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء والمرسلين... هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً" وقد تمّ التخريب الشامل في عهد الدولة الفارسية الساسانية سنة 614م.  
2- أمّا عن شخصية المسيح، فإنّه يقول: "مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكيلا أسلم إلى اليهود".<sup>4</sup>

3- المسيحية وتطورها: تكلم إبراهيم خليل أحمد عن حقيقة قول المسيح "إنّ ملكوت الله قد حان أجله، وإن الله سيقضي عمّا قريب على عهد الشر والخبائث، وكانت هذه الأفكار مألوفة لسامعيه، ولهذا لم يحددها تحديداً واضحاً، ومن ثمّ نشأت في وقتنا هذا صعاب جمّة سببها ما في هذه الأفكار من غموض".<sup>5</sup>

ويؤكد إبراهيم خليل كلامه عن تخبط النصارى في تحديد طبيعة مملكة عيسى عليه السلام فيسوق كلام ول ديورانت will durant في كتابه "قصة الحضارة" story of civilisation: "يخيّل إليّ أنّها لم تكن كذلك"<sup>(1)</sup>، لأنّ التلاميذ

1 - إبراهيم خليل أحمد ، المرجع السابق ، ص 77.

2 - التكوين 16 : 4 ، 5.

3 - إبراهيم خليل أحمد ، المرجع السابق ، ص 77 وما بعدها.

4 يوحنا 18 ك 36.

5. إبراهيم خليل ، المرجع السابق ، ص 79 وما بعدها.

## الدكتور محمد بو الروايح

والمسيحيين الأولين كانوا على بكرة أبيهم ينتظرون أن توجد مملكة أرضية لهذا أخذوا يردّدون هذه العبارة " ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك."<sup>2</sup>

ولإبراهيم خليل أحمد كلام طويل حول هذه المسألة، أردت أن أطويه لأنّ قليله المذكور يغني عن كثيره المجهول والمتروك.

**4- المسيحيون والتعاليم الكتابية:** وقد أشار إبراهيم خليل أحمد في هذا المبحث إلى مخطوطات البحر الميت التي اكتشفت حديثاً ، وقال إنّها ستعطي صورة واضحة عن الكتب القديمة التي حرمتها الكنيسة أو كذبتها، وأنّها سوف تحدث ثورة في تفكير كلّ من يبحث عن الحق بدلاً من العقائد الصناعية أو الدّين الذي وضعه الإمبراطور قسطنطين في مجمع نيقية سنة 325م<sup>(3)</sup>.

ويذكر إبراهيم خليل أحمد أنّه إلى جانب مخطوطات البحر الميت، فقد وجدت مخطوطات أخرى يقول عنها: "وتوالت بعد ذلك الاكتشافات التي لم يسمع عنها الجمهور لدينا كثيراً، وهذا هو سرّ التعجّب، فالمصادر التي تذكر هذه الأمور كلّها أجنبية غربية، فقد ذكرت أنّ مخطوطاً آخر في الفيوم وآخر في مصر العليا، وثالث في سور سيناء في سنة 1985م، وأنّ هذا الأخير مكتوب باللّغة الديمو طبقية، وأنّه كتب في القرن الثالث بواسطة القديس مرقس الحواري المعروف، و يصف فيه تاريخ عيسى ويصحح نقطا ممّا جرى عليه العرف"<sup>(4)</sup>.

**5- كلام إبراهيم خليل أحمد عن القرآن الكريم ونهجه القويم ورسوله الكريم:** وفي ذلك يقول: " إنّ سيّدنا عيسى عليه السلام يتنبأ عن الرّسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: "وأما متى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنّه لا يتكلم من نفسه بل كلّ ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية"<sup>(5)</sup>، ويدعم هذه النبوة بطرس خليفة المسيح على الأرض بقوله: " فإنّ موسى قال للآباء إنّ نبياً مثلي سيقم لكم الرّب إلهكم من إخوتكم ، له تسمعون في كلّ ما يكلمكم به"<sup>(6)</sup> هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيّها البناءون<sup>(1)</sup>، الذي صار رأس الزاوية، وليس يأخذ غيره

<sup>1</sup> متى 6: 1.

<sup>2</sup> ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج 3 ، ص 564 / 570.

<sup>3</sup> إبراهيم خليل أحمد، المرجع السابق، ص 108.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 110.

<sup>5</sup> يو 16: 12 و 13.

<sup>6</sup> أع 3، 22.

الدكتور محمد بو الروايح

الخلاص: " يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين<sup>(2)</sup> .

### 6- الرسول صلى الله عليه وسلم وإيمانه يشخص المسيح عليه السلام:

ويبدأ إبراهيم خليل أحمد هذا المبحث توطئة مهمة حيث يقول إبراهيم خليل أحمد: " آمن الرسول الكريم بالمسيح ابن مريم الذي تنبأ قائلاً: " ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء<sup>3</sup> ، وعمن يقول هذا القول ؟ هل يقوله عن أخنوخ ؟ فالتوراة تقرّر: " وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأنّ الله أخذه<sup>4</sup> " أم يقوله عن إيليا ؟ فالأنبياء تقرّر: " وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار فصلت بينهما، فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء<sup>5</sup> .. فمن هذا المسيا (الرسول) إذن إنّه محمد صلى الله عليه وسلم عند ما أسرى الله به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء، ورأى ما رأى<sup>6</sup> .

وأما عن إيمان الرسول الكريم بعيسى عليه السلام فيقول عنها إبراهيم خليل أحمد: " ولا عجب أنّ الإنجيل يؤكّد للإنسان الذي يبحث عن الحقّ ويتحرى الصدق، لا عجب أنّه يدعم إنسانية عيسى عليه السلام ويؤكد رسالته ونبوءته فكلمة إنجيل كلمة يونانية تعني بشارة أو بشرى، ولعلّ هذا هو الذي نستفيد من سيرة سيدنا عيسى عليه السلام أنّه كان بشرى من الله للرحمة وبشرى لتبشيريه عن المسيا الذي سيأتي للعالمين هدى ورحمة، ألا وهو الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم<sup>7</sup> وما يؤكّد إيمان الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم بعيسى عليه السلام هو الميثاق الأزلي الإلهي الذي يربطهم والذي يشير إليه قوله تعالى: " وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنّهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق<sup>8</sup> .

<sup>1</sup> أ ع 4: 11، 12.

<sup>2</sup> المائة،: 15.

<sup>3</sup> - يوحنا 3 : 13.

<sup>4</sup> تكوين 5 : 24.

<sup>5</sup> - الملوك الثاني : 2 : 11 -.

<sup>6</sup> - إبراهيم خليل أحمد ، المرجع السابق ، ص 123.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه ، ص 125.

<sup>8</sup> - الفرقان 20.

الدكتور محمد بو الروايح

7- الكتاب المقدس والعقيدة المسيحية: بدأ المؤلف هذا البحث بالكلام عن العهد القديم ونشأة اللغة العبرية وقواعدها والعلاقة بينها وبين اللغة العربية وأقدم الترجمات وهذه مسألة لا تعيننا، لأنّها مسألة لغوية بحتة، وإّما يعيننا ما قاله بشأن الصّراع التاريخي بين الفرق اليهودية واختلافها في تفسير التوراة وفي القول بقديسيّتها أو عدم القول بقديسيّتها ، يقول إبراهيم خليل أحمد: "ويقول اليهود: ليس السامريون على شيء ، وإّهمّ(اليهود) يعلمون ويوقنون أنّ أباهم حافظ للدّين، فلا يمسه سوء لأنّه الحق المبين، وأنّ الله كان مدركهم وهاديهم في مهجرهم، ثمّ إّهمّ بعد ذلك عادوا إلى القدس بيت الله وهم على دينهم الحنيف، قالوا: أمّا أبائكم أيها السامريون فقد تزوجوا من نساء وثنيات فاختلط الدم بالدم، واستبحتم ما حرمتنا على أنفسنا، بل لم تقف بكم الحال عند هذا الحدّ، حتى جعلتم بناتكم حلاًّ للوثنيين تصاهروهم وتخالطوهم".<sup>1</sup>

ثمّ تكلم المؤلف في هذا المبحث عن العهد الجديد بما فيه رسائل بولس، وحسبي أن أذكر من كلامه ما قاله في الخاتمة، أي من هذا المبحث حول تناقض الأناجيل: "وخلاصة القول أنّ ثمة تناقضاً كبيراً بين بعض الأناجيل وبعضها أنّ فيها نقطاً تاريخية مشكوكاً في صحتها، وفيها من القصص الباعثة على الشبهة والريبة ما يماثل مماثلة واضحة ما يروي عن آلهة الوثنيين، وكثير من الحوادث التي يبدو أنّها وضعت عن قصد لإثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة في العهد القديم، وفقرات كثيرة ربّما المقصود منها تقرير أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة أو طقس متأخر من طقوسها".<sup>2</sup>

8- العالم قبل بزوغ الإسلام: وتكلم فيه إبراهيم خليل أحمد عن التناقض بين الإمبراطورية الرومانية الشرقية البيزنطية، والإمبراطورية الرومانية الغربية أو بتعبير آخر بين القسطنطينية وروما، يقول إبراهيم خليل أحمد: "وكان التنافس على أشده بين القسطنطينية وروما، فاستندت القسطنطينية على أنّها قاعدة الإمبراطورية السياسية، ومقر إقامة الأباطرة واعتمدت روما على تشریف خليفة المسيح عيسى ابن مريم وهو بطرس الحواري ، ومكانة بطرس في الكنيسة مكانة الصخرة التي بها يدعم الإيمان المسيحي، لهذا قال عنه المسيح: أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابن كنيسة"<sup>(3)</sup>. وبالإضافة إلى هذا حوّل له المسيح حقّ الحل والربط، إذ أعطاه مفاتيح ملكوت السماوات في إنجيل متى: "وأنا أقول لك

<sup>1</sup> - إبراهيم خليل أحمد ، المرجع السابق ، ص 143.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه ، ص 146 ، 147.

<sup>3</sup> . متى 16 ك 19/18.

## الدكتور محمد بو الروايح

أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابن كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات"<sup>(1)</sup>.

**9- العالم في فجر الإسلام:** وتحدث فيه المؤلف عن الرسائل النبوية التي بعثها محمد صلى الله عليه وسلم إلى ملوك العالم يدعوهم إلى الإسلام، وأشار إلى جهاد الصحابة في سبيل الله، وزحف الجيوش العربية على الإمبراطورية البيزنطية والدولة الفارسية الساسانية، وأكد تسامح المسلمين مع كافة الشعوب التي عانت من ظلم الحكام وعنصريتهم<sup>(2)</sup>، ويجمع إبراهيم خليل أحمد كّله في قوله: "وقد كتب الرسول كتاباً إلى الأباطرة والملوك حوله، يدعوهم إلى الإسلام، دين الوحدانية ومن هذه الكتب كتابه إلى المقوقس، الذي قرأه بعناية ثم طواه وقال لحاطب ابن أبي بلتعة: "قد كنت أعلم أنّ نبياً قد بقي أظنه أنّه يخرج من أرض العرب، ولكن القبط لا تطاوعني، وأنا أضن بملكي أن أفارقة، وقد كان من حبّ الرسول لمصر و أقباط مصر ما دفعه أن يوصي بهم خيراً بقوله: "استوصوا بالقبط خيراً، فإنّ لهم ذمة ورحماً"<sup>3</sup>، ويبدو كما يضيف إبراهيم خليل أحمد أنّ بعض الرّسل الذين أوفدهم النبي إلى ملوك الدول المجاورة وحكامها قد صادقوا إعراضاً بل امتهاناً، ممّا جعل النبي يعدّ العدة<sup>4</sup>، ويأتمر بقوله تعالى: "وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم"<sup>5</sup>.

ويسمي إبراهيم خليل أحمد هذا النوع من الإعدادات إعداداً لحماية العرض وبيضة الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي العهود التي جاءت بعده فيقول: "وليس العجيب في أمر الغزوات العربية الدفاعية ضد اعتداء الدول المعادية أنّ العرب اجترءوا على مهاجمة العرب مهاجمة الفرس والروم وهما أكبر إمبراطوريتين عرفهما العالم بل التاريخ منذ فجر المسيحية حتى القرن السابع المسيحي، ليس العجيب هذا، بل العجيب في الأمر أنّ العرب غزوا فارس في نفس الوقت الذي غزوا فيه إمبراطورية الروم، وحرزوا انتصاراتهم الضخمة الرائعة على الدولتين في وقت واحد"<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup>. متى 16 : 18 / 19.

<sup>2</sup>. محمد سيد أحمد المسير، المرجع السابق، ص 199-200.

<sup>3</sup> إبراهيم خليل أحمد ، المرجع السابق ، ص 190.

<sup>4</sup> المصدر نفسه ، ص 190.

<sup>5</sup> - الأنفال 60.

<sup>6</sup>. إبراهيم خليل ، المرجع السابق ، ص 191.

## الدكتور محمد بو الروايح

ورغم الحروب التي خاضها المسلمون ضد المعتدين عليهم أو المعترضين لسبيل دعوتهم، إلا أن هناك جانباً مشرقاً من التسامح مع الآخرين، وهو ما ذكره إميل لودفيج: "وعاش السلاطين على شواطئ النيل مسلمين إلى النصارى قروناً كثيرة، ويقع الصّراع ذات حين، وتصعب معرفة المسؤول عن ذلك، ولا عجب، مادمننا لا نعرف المسؤول عن الحوادث العنصرية في الغالب، ومع ذلك يلوح أنّ التبعية تقع على النصارى لما كان من رغبتهم في حمل الناس على اعتناق دينهم، وهل انتهك المسلمون حرمة بيت المقدس؟ كان المسيح خامس الأنبياء مرتبة لدى المسلمين، وكان محمد صلى الله عليه وسلم قد صرّح بصحّة دين اليهود والنصارى الأولين وبأنّ كتبهم المقدسة هي التي حرفت، ولم يستول العرب وخلفائهم على مصر حملاً لها على الإسلام<sup>(1)</sup>."

وعن التسامح الديني الذي تعامل به الإسلام مع النصارى يقول إبراهيم خليل أحمد: "لقد استعادت الكنيسة القبطية في مصر في ظل الحكم الإسلامي قوتها ونفوذها وأصبح الأقباط في مصر يؤدون طقوسهم الدينية في حرية مطلقة، بفضل المبادئ الإسلامية النقية<sup>(2)</sup>:" لا إكراه في الدين قد تبين الرّشد من الغي"<sup>(3)</sup>."

إنّ إبراهيم خليل أحمد كان يريد أن يرسخ فكرة وهي أنّه لا تضارب ولا تعارض ولا عداوة بين المسيحية الحقيقية والإسلام، وأنّ ما ظهر من ذلك في القرون المتأخرة إنّما هو من صنع أدياء المسيحية وفي مقدمتهم بولس والباباوات.

**10- لمحة من حياة محمد:** في ختام الكتاب نقل إبراهيم خليل أحمد لمحة من حياة محمد صلى الله عليه وسلم من كتاب محمد حسن هيكل، ثمّ تكلم عن الزواج والطلاق في الإسلام، وقد وقف إبراهيم خليل أحمد على مظاهر العظمة في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول: "تظهر العظمة المحمدية في هذا الجانب المشرق من حياة الدعوة، كيف استطاع أن يؤلف بين رجال تباينت أفكارهم وأمزجتهم وجنسياتهم، وألغى الفوارق بينهم، وصهرهم في بوتقة الإسلام إخواناً متحابين<sup>(4)</sup> يرفعون هذا الشعار الإلهي: "يا أيها الناس إنّنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم"<sup>(5)</sup>."

<sup>1</sup>. إميل لودفيج، النيل، ترجمة عادل زعيتر، ص 617.

<sup>2</sup> - إبراهيم خليل أحمد، المرجع السابق، ص 195.

<sup>3</sup> البقرة 256.

<sup>4</sup>. إبراهيم خليل أحمد، ص 206 نقلاً عن محمد حسين هيكل، حياة محمد...

<sup>5</sup>. الحجرات 13..



## الدكتور محمد بو الروايح

وبعد هذا كله، وبعد التطرق إلى الجوانب التي اشتمل عليها كتاب محمد في التوراة والإنجيل والقرآن يمكن أن نقول إنَّ الكتاب قيّم في بحثه وافٍ في موضوعه، صادق في فكره، عميق في قضاياها.<sup>1</sup>

## المدرسة الغربية في دراسة تاريخ الأديان:

لا بدّ أن أشير في البداية إلى حقيقة و هي أنّ اختلاف أفكار وعقائد الناس يقتضي بالضرورة اختلافاً في منهج دراسة هذه الأفكار والعقائد يقول محمد سيد أحمد المسير: "منذ قدم العصور وجد رجال بحثوا في الأديان، ودرسوا العقائد، وسجّلوا أفكارهم أو سجلت لهم في كتب تناقلتها الأجيال وعرفت بها البشرية على مدى تاريخها الطويل ومازالت المسير قائمة ولا يزال الباحثون يعكفون على هذه الدراسات، ولا تكاد تخلو جامعة من جامعات العالم اليوم من علم مقارنة الأديان ودراسة التاريخ العقدي للإنسانية. وتتعدّد الأهداف، وتنوع المقاصد وتتباين المناهج، وتكثر البحوث، وتتكاثر الأديان والعقائد والمذاهب، وصدق الله إذ يقول: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك، ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين"<sup>(2)</sup>.

إنّ طبيعة الحياة هي الصّراع بين الحق والباطل، و لو شاء الله لجمع الناس على دين واحد جبلة وغريزة وانسياقاً ولكن تبطل حينئذ حكمة الخلق وتضيع حرية الإنسان، وتضيع قضية التكليف عبثاً وإنّ الله خلق الناس كي يمارسوا حريتهم الموهوبة منه سبحانه ويتحقق فيهم التكليف الشرعي، فيلقي كلّ إنسان مصيره الذي اختاره لنفسه إن خيراً فخير وإنّ شراً فشر"<sup>(3)</sup>.

وتنقسم الدّراسات غير الإسلامية للأديان إلى قسمين كما مرّ معنا عند حديثنا عن الدّراسات الإسلامية، وهي الدّراسات القديمة، والدّراسات الحديثة:

1- الدّراسات القديمة: ويمكن أن نطلق عليها الدّراسات اللاهوتية القديمة، المتمثلة أساساً في العهد القديم فهو يذكر الأديان والعقائد منذ بدء الخليقة.

ويلي ذلك في القدم الملاحم الشعرية اليونانية وخاصة الإلياذة والأوديسا للشاعر اليوناني القديم هوميروس قبل الميلاد بعشرة قرون تقريباً.

<sup>1</sup> محمد سيد أحمد المسير، المرجع السابق، ص 200.

<sup>2</sup> هود: 118.

<sup>3</sup> محمد سيد أحمد المسير، المرجع السابق، ص 203.

## الدكتور محمد بو الروايح

وقامت أديان الفلسفة منذ المدارس الطبيعية الأولى قبل الميلاد وإلى اليوم لتنافس الميتافيزيقا(ما وراء الطبيعة) و تقف منها مواقف التأييد أو المعارضة.

وسقطت الكنيسة، والنصرانية صرعى تحت وطأة دراسات نقدية شاملة وعنيفة خاصة عند جان جاك روسو في العقد الاجتماعي و كارل ماركس في رسالته حول المسألة اليهودية التي ربط فيها بين اليهودية والنصرانية باعتبارهما شريكين في جريمة اغتراب الإنسان عن نفسه وعن الطبيعة، وعند فريدريك نيتشه في كتابه " هكذا تكلم زرادشت <sup>(1)</sup>. ونختار من هذه الدراسات- وغيرها كثير- نموذج واحد نشير إليه في لمحات سريعة على النحو الآتي:

**العهد القديم أو المدسة اللاهوتية القديمة:** أو ما سميناها المدرسة اللاهوتية القديمة، وقد تضمن هذا الكتاب بأسفاره المختلفة كثيرا من قضايا الإنسان المرتبطة بالدين والعقيدة، حتى إنه يمكن بحسب الحشد التاريخي الكبير الذي رصده في هذا المجال بأن يوصف بأنه المصدر الديني الأول في تاريخ الأديان والمعتقدات القديمة، التي دان بها الناس منذ فجر الخليقة ومما يؤكد هذا، الخطان التاريخيان الكبيران اللذين ينطوي عليهم العهد القديم:

1- الخط التاريخي المتعلق بقصة خلق العالم والإنسان الأول والأحداث الكبيرة التي مرت بها البشرية من الطوفان إلى قصة إبراهيم الخليل وأولاده وأحفاده.

1- الخط التاريخي المتعلق بقصة بني إسرائيل، ويركز على خروجهم من مصر بعد بقائهم في مصر مدة طويلة، ثم مسيرتهم بعد ذلك في سيناء وحرهم مع أعدائهم.

ولا يزال العهد القديم مصدر الإلهام الأول لدى كثير من الباحثين في تاريخ العقائد والأديان الكتابية الأولى قبل وقوع بدعة التحريف عليها.

**الدراسات الغربية الحديثة:**

وبعد هذا العرض الموجز للدراسات القديمة غير الإسلامية في مجال دراسة الأديان، أعود إلى الحديث والتي تشمل شخصيات كثيرة تناولت الظاهرة الدينية وتطوراتها، وقد ذكر جيب <sup>(2)</sup> بعضها عن النحو الآتي:

<sup>1</sup>. المصدر نفسه، ص 204 - 205.

<sup>2</sup>. جيب ، المرجع السابق ، ص 18.

## الدكتور محمد بو الروايح

- دراسة ريمون رويه R.Ruyer<sup>1</sup> ، وقد ذكرها في كتاب "إله الأديان إله العلم"، (وأشار فيه إلى الأزمة الخانقة التي يجتازها في الغرب اللاهوتي والنظرة الاعتقادية، ورأى أن الديانات "التقليدية" الكبرى السائدة في العالم من جهة أولى و الماركسية والمادية الجدلية من جهة ثابتة، والمذهب الإنساني الذي لا يعترف بوجود الله سواء أنضرننا إلى هذا المذهب في صورته الوجودية أم غير الوجودية، فمن جهة ثالثة كل أولئك يخطئ حيال العلم، المعاصر - فالديانات القديمة تفقد تماما التكيف مع النظرة العلمية إلى العالم، والمادية الماركسية تضل متمسكة بأهداب علم القرن التاسع عشر والمذهب الإنساني الملحد، يحفل بتراكم المفارقات، لأنه يخلط في نطاق الإنسان الإيمان بتصوير عالم الأشياء. ويخلص (روية) من دراسته لمفهوم الله من زاوية العلم المعاصر ونظرية الإعلام والميكرو فيزياء وعلم الكون إلى أن الله هو المبدأ، وحدة العالم، سند الكائنات الشامل، إنه ما وراء الأسماء<sup>(1)</sup>

2- دراسة ميشيل ميلسن M.Meslin<sup>1</sup> في كتابه الذي نشره سنة 1973، وعنوانه: "من أجل علم الأديان" ويرى فيه أن (الإنسان الديني)، ظاهرة كلية الانتشار، ولكنها ظاهرة إنسانية تتألف من مزيج غريب يظم الإنسان في واقعه المعيش، وباعتبار شيء ما يجاوزه ويعلو عليه وهو المقدس، المقدس المعيش، وأن دراسته هذه الظاهرة تنتمي إلى نوع من الأنثروبولوجيا الدينية قد يكون الصمت نهايتها القسوة.

إنّ الظاهرة الدينية حسب ميشيل ميلسن ظاهرة مدركة عبر التنوع التي نهضت بها شتى الثقافات الإنسانية، والإنسان الديني ظاهرة كلية الانتشار، كما ألمعنا، وهي مزيج غريب يصبح بأن واحد الإنسان باعتبار بُعد الملية والجمعي، منظوراً إليه في الواقع المعيش والأصيل لكل إبداع من إبداعاته وباعتبار ما يبدو أنّه يجاوز الإنسان، والإنسان يعتبره واقعاً متعالياً، هو المقدس، ويرى (ميلسن) أنّ ما يجب علينا تخيله وفهمه في علم الأديان هو جملة العلاقات الوثيقة التي تستطيع، عبر التاريخ الإنساني كلّها، أن تربط الإنسان بهذا الواقع الذي يعتبره الإنسان أسمى منه، وتبين أسباب هذه العلاقات وتأثيرها في السلوك البشري، فإذا شاء فريق من الباحثين البدء بتعريف الدين قبل دراسة علم الأديان، أجاب "ميلسن" بأنّ تعريف الدين لا يمكن أن يكون إلاّ تعريفاً تقريبياً، تعريفاً لا يطابق موضوعه، لأنّ كلمة دين تشتمل على وقائع جدّ متباينة، وينجم عن إضمار أية ميتافيزيقا في تعريف الدين تزييف كلّ بحث علمي في هذا المجال، لذا يجب الانطلاق من التجربة الإنسانية، تجربة الإنسان عن المقدس، وهذه التجربة لا تتناول إلاّ بواسطة منظومات تعبير نظرية، تصويرية، شعائرية أو رمزية، وهي كلّها، من حيث طبيعتها، لغات إنسانية. إنّ طائفة من التفاسير أمر ضروري لا بدّ منه لفهم هذه

<sup>1</sup> المصدر نفسه ، ص18..

## الدكتور محمد بو الروايح

اللغات المختلفة التي يعبر بها الإنسان عن علاقته بالمقدس ويرمي إلى دفع القلق الأساسي الذي يتهدّد وجوده الخاص، وهذا القلق ينشأ عن وجود الإنسان في الكون الذي دفع إليه دفعاً، بل كما يقول "هيد يجر"، كون قُذِفَ الإنسان فيه وأسلم للموت، وكما نعجز عن معرفة حلم الحالم إلاّ بالكلام الذي يعرب به عنه الحالم في حال يقظته، كذلك فإننا لا نعرف المقدس إلاّ من خلال الإنسان، الذي يعرف عنه، وبديهي أنّ الإنسان إنّما يعرب عن المقدس بمفاهيم وأساطير ورموز لا يشعر بها الإنسان الدّيني إلاّ باعتبار أنّها سبيل من سبل الكلام والتقريب والإشارة تتفاوت مواءمتها لموضوعها، إنّها ليست إلاّ كتابات إنسانية تنقل واقعاً يظل بذاته خفياً عن الإنسان إلى حدّ كبير أو صغير، ولكن الإنسان يود، برغم ذلك، أن يربط به عمله، وعلى هذا يمكننا تعريف المقدس أنّه تلك العلاقة<sup>(1)</sup>.

ويمكن أن ألخص مفهوم ميلسن للظاهرة الدّينية، كما نقلها جب<sup>(2)</sup>، حيث يقول عن هذا المسعى في تفسير الدّين: "إنّ هذا العلم علم الأديان، يؤلّف في نظر "ميلسن" نوع من أنثروبولوجيا دينية يترتب عليها أن تأخذ بعين الاعتبار فاعليه الإنسان الدّينية، وعلى الأقل، بقدر ما يمكن للدّين أن يبدو ضرباً من رقابة الإنسان على كونه اليومي، وأن ترعى اعتبار أنّ الدّين وسيلة من وسائل تعريف الإنسان نفسه في العام وحيال أقرانه، ومن الجائز أن يلتقي في كلّ تحليل أنثروبولوجيا للحادث الدّيني مسعيان:

**الأول**، وهو مسعى جدلي، يحلل تعارض الطبيعي والخالق، والعادي والمقدس، والمألوف وغير المألوف، السّوي والمذهل والمسعى الآخر يلح بوضوح أكبر على طبيعة الحادث الدّيني ذاته وإذ ذاك يبدو الدّين معرفة تُضمّر وتحدّد فعلاً، وتطلّع إلى الاندماج الشامل في الواقع الإنساني المعيش، ويبدو المقدس على أنّه يجثم في قوّة تمتاز بنجوعها، أكثر ما تمتاز<sup>(3)</sup>.

**3- دراسة جول لا بوم:** وقد أوردتها في كتابه "تفصيل آيات القرآن الكريم" وقد نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي وألحق به كتاب "المستدرك"<sup>(4)</sup>. للمستشرق إدوار مونتيه، وطبع لأول مرّة سنة 1935م.

<sup>1</sup>. جب ' المرجع السابق ، ص 19 ، 20.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه ، ص 19- 20.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه ، ص 20 وما بعدها..

<sup>4</sup>. نشرته دار الكتاب العربي ، بيروت في طبعة جديدة سنة 1969.

## الدكتور محمد بو الروايح

والكتاب مقسم إلى ثمانية عشر باباً هي:

- |                       |                            |
|-----------------------|----------------------------|
| 1- التاريخ            | 2- محمد صلى الله عليه وسلم |
| 3- التبليغ            | 4- بنو إسرائيل             |
| 5- التوراة            | 6- النصرى                  |
| 7- ما وراء الطبيعة    | 8- التوحيد                 |
| 9- القرآن             | 10- الدين                  |
| 11- العقائد           | 12- العبادات               |
| 13- الشريعة           | 14- النظام الاجتماعي       |
| 15- العلوم والفنون    | 16- التجارة                |
| 17- علم تهذيب الأخلاق | 18- النجاح.                |

وتحت كل باب منها فروع تبلغ عددها خمسين وثلاث مائة فرعاً، وتحت كل فرع جميع ما ورد فيه من آيات التنزيل مما لم يسبق جمعه وتنسيقه في كتاب، والمستدرک قائم على ترتيب حروف الهجاء فيبدأ بحرف الألف هكذا:

- |                   |                |
|-------------------|----------------|
| 1- الآداب الشرعية | 2- آدم         |
| 3- آزر            | 4- إبراهيم     |
| 5- إبليس          | 6- ابن السبيل. |

وهكذا تتولى العناوين والموضوعات حتى يختم بحرف الياء فيسوق الآيات التي وردت في اليتامى، ويحي ويعقوب واليهود ويوشع ويونس.<sup>1</sup>

5- دراسة موريس بوكاي<sup>(1)</sup>: وقد تضمنها كتابه القيم: "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة". وقد بدأه موريس بوكاي بمقدمة ساق فيها أسباب تأليفه الكتاب، ووضح فيها موقف الغرب من الإسلام بقوله:

<sup>1</sup> - محمد سيد أحمد المسير ، المرجع السابق ، ص 228 ، 229.

## الدكتور محمد بو الروايح

- 1- (إنّ المعطيات الخاصة بالإسلام مجهولة عموماً في بلادنا الغربية ولا يدهشنا ذلك إذا تذكرنا الطريقة التي أتت في تثقيف الأجيال الكثيرة فيما يتعلق بالقضايا الدينية لدى الإنسان، وكيف فرض عليهم الجهل في كلّ ما يمس الإسلام).
- 2- إنّ الاستعمال السائد حتّى اليوم في التسميات الغربية مثل "الدين المحمدي" و"المحمديون"، ليدل على الرغبة في أن تظل النفوس مقتنعة بذلك الرأي الخاطئ القائل بأنّ تلك معتقدات انتشرت بفضل جهاد رجل، أو أنّه ليس له بالمعنى الذي يدركه المسيحيون، مكان في تلك المعتقدات.
- 3- إنّ كثيراً من المعاصرين المثقفين يهتمون بالجوانب الفلسفية والاجتماعية والسياسية في الإسلام دون أن يتساءلوا عن التنزيل الإسلامي بصورة خاصة كما كان يجب عليهم أن يفعلوه، ويرون من البديهيّات أنّ محمد صلى الله عليه وسلم- قد اعتمد على ما سبقه، وذلك بقصد استبعاد قضية الوحي منذ البدء.
- 4- هناك بعض أوساط مسيحية تحتقر المسلمين، ويقول موريس بوكاي إنه خبر هذا حين حاول إقامة حوار من أجل دراسة مقارنة حول عدد من الأخبار المذكورة في القرآن والتوراة معاً في موضع واحد، فلاحظ أنّ هناك رفضاً تاماً للنظر بعين الاعتبار ولو بمجرد التأمل فيما يحتويه القرآن ممّا يتعلق بموضوع الدراسة المزمعة، كأنّ الرجوع في ذلك إلى القرآن يعني الاعتماد على الشيطان.
- 5- ومع ذلك كما قال موريس بوكاي<sup>(2)</sup>، يبدو لنا أنّ هناك تعبيراً جذرياً بتحقيق اليوم على أعلى مستوى في العالم المسيحي، فالوثيقة التي طبعها أمانة الفاتيكان لشؤون غير المسيحيين إثر مجمع الفاتيكان الثاني بعنوان "توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين، والتي طبعت للمرّة الثانية في عام 1970م، تشهد بعمق التحول في المواقف الرسمية، فقد دعت وثيقة الفاتيكان إلى استبعاد الصورة التي يصوّر المسيحيون المسلمين عليها، تلك الصورة البالية التي ورثنا الماضي إياها أو شوهتها الافتراءات والأحكام المسبقة، ثمّ اهتمت الوثيقة بـ" الاعتراف بمظالم الماضي التي ارتكبتها الغرب ذو التربية المسيحية في حق المسلمين" والوثيقة تنتقد أيضاً مفاهيم المسيحيين الخاطئة عن الحتمية الإسلامية وحرية الإسلام و غير ذلك. إنّ الوثيقة تؤكد على وحدة الإيمان بالله عند الجميع ، وتذكر كيف أثار الكاردينال كونيغ koenig

<sup>1</sup>. موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، 1979 ن ص 6 وما بعدها.

<sup>2</sup>. موريس بوكاي، المرجع السابق، ص 7.

## الدكتور محمد بو الروايح

إعجاب مستمعيه بالجامع الأكبر حين أعلن ذلك في محاضراته الرسمية التي ألقاها بجامعة الأزهر الإسلامية في القاهرة  
1969م

وقد ذكر موريس بوكاي كثيراً من الفروق بين المسيحية والإسلام واليهودية، فيما يتعلق بمكانة الكتاب الديني ويمكن  
أن نلخصها كما يأتي:

1- يقول موريس بوكاي: "إنّ معالجة الكتب المقدّسة من خلال علم الدّراسة النقدية للنصوص شيء قريب العهد في بلادنا، ففيما يخص العهد القديم و العهد الجديد، ظل الناس يقبلونهما على ما هما عليه طيلة قرون عديدة، ولم تكن قراءة الكتب المقدّسة تؤدي إلى اعتبارات مدحية، وكان مجرد التعبير عن أي روح نقدية إزاء الكتاب المقدس خطيئة لا تغتفر، وكان القساوسة هم الصفوة التي تستطيع بغير عناء أن تكون لديها معرفة إجمالية عن التوراة والإنجيل، أما عامة العلمانيين فلم تكن تتلقى إلّا نصوصاً مختارة خلال الطقوس الدّينية أو عبر المواعظ... في ظل تلك الظروف فإنّ المتناقضات والأمور البعيدة عن التصديق تظل باقية للأجل في نظر كل ما يريد أن يحتفظ بسلامة مقدرته على التفكير وحسه الموضوعي، وإتّنا لنأسف حقاً لذلك الموقف الذي يهدف إلى تبرير الاحتفاظ في نصوص التوراة والإنجيل، ببعض المقاطع الباطلة خلافاً لكلّ منطق... أما الإسلام فعنده في الأحاديث النبوية ما يشبه الأناجيل من حيث أنّها مجموعة من الأقوال والأخبار لأفعال محمد صلى الله عليه وسلم، وليست الأناجيل أكثر من هذا فيما يتعلق بعيسى... وهناك فرق جوهري آخر بين المسيحية والإسلام فيما يتعلق بالكتب المقدّسة، ونعني بذلك فقدان نصوص الوحي الثابت لدى المسيحية، في حين أن الإسلام لديه القرآن الذي هو وحي منزل وثابت معاً... أما الكتاب المسيحي المقدّس فإنّه يختلف بشكل بيّن لما حدث بالنسبة للإسلام، فالإنجيل يعتمد على شهادات بشرية متعدّدة وغير مباشرة، وإتّنا لا نملك مثلاً أي شهادة لشاهد عيان لحياة عيسى، وهذا خلافاً لما يتصوّره كثير من المسيحيين، وهكذا إذن طرقت مشكلة صحة نصوص الكتب المقدّسة المسيحية ونصوص الوحي الإسلامي".<sup>1</sup>

2- يرى موريس بوكاي أن القرآن يثير وقائع ذات صفة علمية، وهي وقائع كثيرة جداً، خلافاً لقلّتها، في التوراة، إذ ليس هناك أي درجة للمقارنة بين القليل جداً لما أثارته التوراة من الأمور ذات الصفة العلمية، وبين تعدّد وكثرة

<sup>1</sup> موريس بوكاي، المرجع السابق، ص 10.

## الدكتور محمد بو الروايح

الموضوعات ذات السمة العلمية في القرآن وأنه لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن العلمية مع وجهة النظر العلمية، وتلك هي النتيجة الأساسية التي تخرج بها دراستنا<sup>(1)</sup>.

ويذكر موريس يوكاي طريقة في تناول الكتب المقدسة، وعرضها على محك النقد العلمي فيقول: "... لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث، وكنت أعرف، قبل هذه الدراسة وعن طريق الترجمات، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظواهر الطبيعية، ولكن معرفتي كانت وجيزة، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجه نظر العلم في العصر الحديث. وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأنجيل، أما بالنسبة للعهد القديم فلم يكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول أي سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا، وأما بالنسبة للأنجيل فما نكاد نفتح الصفحة الأول منها حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة في مواجهة مشكلة خطيرة ونعني بها شجرة أنساب المسيح، وذلك أنّ نص إنجيل متى يتناقض بشكل جلي مع إنجيل لوقا LUC، وأنّ هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض<sup>(2)</sup>.

ولموريس يوكاي إطالة في الحديث عن اليهودية والمسيحية والإسلامية أو بالأحرى عن الكتب المقدسة المنسوبة لهذه الديانات الثلاث، ولكن لا يمكن التعرض لها بأكثر ما تعرضت له، ويكفي في النهاية أن أسوق ما قاله موريس يوكاي بعد سلسلة المقارنات الموضوعية والانتقادات العلمية الهادئة بين النص القرآني والنص المقدس: "...ولا يستطيع الإنسان تصوّر أنّ كثير من المقولات ذات السمة العلمية كانت من تأليف بشر، وهذا بسبب حالة المعارف في عصر محمد صلى الله عليه وسلم، لذا فمن المشروع أن ينظر إلى القرآن على أنّه تعبير الوحي من الله وأن تعطي له مكانة خاصة جداً حيث أنّ صحته أمر لا يمكن الشك فيه وحيث أن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة في عصرنا تبدو كأنها تتحدى أي تفسير وضعي. عقيمة وحقا المحاولات التي تسعى لإيجاد تفسير للقرآن بالاعتماد فقط على الاعتبارات المادية<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>. المصدر نفسه، ص 11، 12.

<sup>2</sup>. المصدر نفسه، ص 13.

<sup>3</sup>. المصدر نفسه، ص 286.



## تاريخ أهم أديان العالم القديمة والحديثة:

## أولاً: الديانات الكتابية:

وأقصد بها الديانات التي كانت تشتمل على كتاب إلهي قبل التحريف وهي اليهودية والنصرانية، أو مازالت تحتفظ بهذا الكتاب-على أصله السماوي - إلى اليوم وإلى الأبد وهو الإسلام.

1- اليهودية<sup>(1)</sup>: وهي الديانة الكتابية الأولى في الترتيب الزمني والنزولي للديانات الكتابية ولها مصادر وعقائد يمكن

أن نتكلم عنها بإيجاز:

مصادر الديانة اليهودية: العهد القديم: وينقسم إلى أقسام<sup>(2)</sup>:

<sup>1</sup>. قيل في اشتقاق هذه الكلمة أكثر من علّة، فهناك من ذهب إلى أن اليهودية من الهود، وذلك لأنّ قوم موسى تابوا عن عبادة العجل فقالوا: "إنا هدنا إليك" أي رجعنا تفسير الطبري، ج2، ص143. وقيل لأنّ اليهود الذين ينتسبون إليها يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة، وقيل نسبة إلى يهوذا أحد أسباط يعقوب، انظر: أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، مرجع سابق، ص37.

<sup>2</sup>. علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام مكتبة نضرة مصر 1384هـ/ 1964م، ص14.

## الدكتور محمد بو الروايح

**القسم الأول:** التوراة أو كتب موسى عليه السلام، أو الأسفار الخمسة وهي: التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية، وتمثل هذه الأسفار الخمسة في التوراة أو ما يطلق عليها بحسب التسمية اليونانية بانتاتوك.

**(1) - سفر التكوين:** ويقص تاريخ العالم من تكوين السماوات والأرض إلى استقرار أولاد يعقوب في أرض مصر، مع تفصيل في قصص آدم عليه السلام، وحواء ونوح والطوفان ونسل سام أحد أبناء نوح، وهو الذي أنحدر منه شعب بني إسرائيل.

**(2) - سفر الخروج:** ويعرض تاريخ بني إسرائيل في مصر، وقصة موسى عليه السلام وخروجه مع بني إسرائيل، وتاريخهم في أثناء فترة التيه التي قضوها في صحراء سيناء والتي استغرقت أربعين عاماً. وبجانب هذه القصص يشتمل الخروج على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات.

**(3) - سفر اللاويين:** وقد اهتم معظمه بشؤون العبادات وخاصة ما يتعلق منها بالأضحية والقربان والمحرمات من الحيوانات والطيور، وقد نسب هذا السفر إلى اللاويين، وهم نسل لاوي لأهم سدنة الهيكل، والمشرفين على شؤون الذبح والأضحية والقربان، والقوانين في الشريعة اليهودية.

**(4) - سفر العدد:** ويتضمن إحصائية عن قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم<sup>(1)</sup>.

**(5) - سفر التثنية:** اهتم معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة وشؤون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات.

**القسم الثاني:** ويسمى بالأسفار التاريخية، وهي اثنا عشر سفرًا تؤرخ لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين في فلسطين وتفصل تاريخ قضائهم وأيامهم والحوادث البارزة في حياتهم.

**القسم الثالث:** وتسمى أسفار الأناشيد والأسفار الشرعية، وهي أناشيد ومواعظ معظمها ديني وعددها خمسة أسفار.

**القسم الرابع:** وتسمى أسفار الأنبياء، وعددها سبعة عشر سفرًا يعرض كل منها لتاريخ نبي من أنبياء بني إسرائيل الذين أرسلوا إليهم بعد موسى وهارون.<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص15 وانظر أيضا: مصطفى حلمي، الإسلام والأديان: دراسة مقارنة، دار الدعوة ص3، 1991م، ص153-

الدكتور محمد بو الروايح

**عرض موجز لآراء الباحثين في مصادر التوراة:**

إنّ الحقيقة التاريخية التي يكاد يطبق عليها الباحثون في مصدرية التوراة، هي أنّ هذه التوراة ليست بيقين التوراة الأصلية التي تلقاها موسى عليه السلام بالوحي، وتتوزع هذه الآراء على النحو الآتي:

**1- موقف الكنيسة الكاثوليكية من أسفار العهد القديم:**

يقول مصطفى حلمي: "وفي مقدمة من فحص هذه الأسفار علماء الكنيسة الكاثوليكية أنفسهم، حيث بحث المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان (1962-1965) هذه المشكلة التي تتعلق بوجود أخطاء في بعض نصوص أسفار العهد القديم وأصدر صيغة تشير إلى وجود شوائب به"<sup>(2)</sup>.

ونص الفقرة المدرجة بالوثيقة المسكونية الرابعة جاء على النحو الآتي: "بالنظر إلى الوضع الإنساني السابق على الخلاص الذي وصفه المسيح الذي يسمح بمعرفة الطريقة التي يتصرف بها الله في عدله ورحمته مع الإنسان، غير أنّ هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطالان، ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم إلهي"<sup>(3)</sup>.

**2- موقف دائرة المعارف الأمريكية:** ويتخلص في أنّه (كان هناك نشاط أدبي بين إسرائيل في عهد مبكر فسجلوا تقاليدهم القبلية وقوانين الجماعة الإسرائيلية، وهذا بجانب الأغاني الشعبية وترانيم العبادة، أو ما ينطق به الكهنة والأنبياء من كهانة ووصايا، وبعد أن استقرت حياة الطائفة الإسرائيلية بدأت تظهر بالتاريخ، وعن غير قصد عناصر من هذه الآداب، اعتبرتها الطائفة ركائز لحياتها العقائدية، وبهذا أعطي لهذه العناصر وقار خاص تفردت به وتحولت بذلك إلى كتابات مقدسة، ولا شك أنّ الكتاب الأصليين لهذا الكتب لم يدروا أنّ ما كتبوه وسجلوه سيكون له مثل هذه القداسة في حياة الطائفة الإسرائيلية في يوم من الأيام"<sup>(4)</sup>.

ويعلق مصطفى حلمي على ما ساقته دائرة المعارف الأمريكية بقوله: " ويفهم من ذلك أنّ القوانين والتقاليد وترانيم العبادة والأغاني الشعبية اختلطت بأقوال الإنسان والكهنة ثمّ استمدت قدسيتها من كثرة ترديدها جيلاً بعد جيل، وطغت

<sup>1</sup>. علي عبد الواحد وافي، ص 15- 16.

<sup>2</sup>. مصطفى حلمي، المرجع السابق، ص 155.

<sup>3</sup>. أحمد عبد الوهاب، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام مكتبة وهبة، مصر 1179، ص 262.

<sup>4</sup>. المصدر نفسه، ص 255.

## الدكتور محمد بو الروايح

الروح العامة للجماعة، فلم يتوقف البعض عن الفحص والتمييز بين الوحي وغيره، بينما تثبت الدراسة الفاحصة لنصوص كثيرة من الأسفار الخمسة من أول وهلة- كما فعل الأستاذ ديدات<sup>1</sup> مع القس سواجارت، أنها ليست من عند الله<sup>(2)</sup>.

**3- نقد ابن حزم للتوراة:** وقد ذكرت أنّ ابن حزم القرطبي الأندلسي واحد من ألمع النقاد والحذاق في نقد التوراة، وقد بسط ذلك في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" ولا أريد أن أكرّر ما قلته، ولكن أسوق نصاً من نصوصه يتحدث فيه عن التوراة: نذكر إن شاء الله تعالى ما في الكتب المذكورة من الكذب، لا يشك كلّ ذي مسكة تمييز في أنّه كذب على الله تعالى وعلى الملائكة عليهم السلام وعلى الأنبياء عليهم السلام، إلى أخبار أوردوها لا يخفى الكذب فيها على أحد كما لا يخفى ضوء النهار على ذي بصر<sup>(3)</sup>.

ولابن حزم صولة وجولة في ثنايا التوراة، حتى إنّه كما ذكر النقاد أبان عورتها، وكشف حقيقتها، وحزم بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية أنّها ليست توراة موسى عليه السلام، التي قال عنها القرآن: "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بين النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء"<sup>(4)</sup>..

## المسيحية:

## تطور المسيحية وانتشارها في عهد بولس

لقد تحدثت عن الأناجيل في موضع آخر بشيء من التفصيل وبيّنت أنّها مصادر الديانة النصرانية، ولا أريد أن أعود إلى تكرار ما قلته، ولكن أريد أن أتحدّث عن المسيحية التي ابتدعها بولس، وهي بيقين بعيدة كل البعد عن المسيحية التي جاء بها المسيح عليه السلام، وهو ما يؤكده محمد أبو زهرة الذي يعطي بعض اللّمحات المميّزة التي تفرق بينه أي بين بولس وبين المسيح عليه السلام، من حيث المباحث الدّينية وطرق الدعوة، وقد تميّزت طريقة المسيح (بطابع السّمو والبساطة حتى يفهمها لأول وهلة- الزارع والصانع والمثقف والأمي والرجل والمرأة دون أدنى إجهاد للذهن، وعندما سئل المسيح من أحد الناس كيف نرت الحياة الأبدية؟ أجاب المسيح عليه السلام: "إنّ الدّين هو حياة وقوّة، وليس مجرد تعاليم، فالدّين هو أن يعيش المرء في إطار أقسام الشرع لا يتعدى أوامر الله ولا يقترف نواهيه"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد ديدات ، هل الكتاب المقدس كلام الله ، ترجمة نورة أحمد النومان " مكتبة أبي القاسم ، جدة ، ص 39.

<sup>2</sup> مصطفى حلمي، المرجع السابق، ص156.

<sup>3</sup> ابن حزم، المرجع السابق، ص166.

<sup>4</sup> المائدة:44.

<sup>5</sup> محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، طبعة الرئاسة للبحوث العلمية، الرياض، ص 88.

## الدكتور محمد بو الروايح

أما أسلوب بولس المدعو رسولا، فإنه يعبر عنه في هذا النص: "فإني إذا كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأريح الأكثرين فصرت كيهودي لأريح اليهود، وللذين تحت التاموس كأني تحت التاموس لأريح الذين تحت التاموس، صرت للضعفاء كضعيف لأريح الضعفاء، صرت للكُلِّ كلَّ شيء لأخلص على كلِّ حال<sup>(1)</sup>. وليست خلص من تحليله لأقواله وتعاليمه أنه كان متعمقاً في معرفة الفلسفة اليونانية فكانت سارية في كتاباته، هذه الفلسفة التي لم ترو قط عن المسيح عليه السلام<sup>(2)</sup>، ولم يقتصر الأمر على هذا، بل إنه أشاع فكرة التمييز العنصري أيضاً وهي تناقض مبادئ المسيح، وهاهو نداء بولس، إلى أهل غلاطية: "اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرّة،" أيها الإخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد حرّة"<sup>(3)</sup> فأين هذا من قول المسيح "أحبوا أعدائكم باركوا لاعينكم<sup>(4)</sup>".

ويرى إبراهيم خليل أحمد أنّ انتشار المسيحية في ربوع الإمبراطورية الرومانية كان ثمرة من ثمرات رحلات بولس الرسول يقول إبراهيم خليل: "يرجع الفضل في انتشار المسيحية في ربوع الإمبراطورية الرومانية إلى رحلات بولس المدعو رسولاً في آسيا وأوربا وإلى كتابته التي تحتل المكانة الأولى بين كتابات الحوارين. يرجع الفضل في تمكين المسيحية من الإمبراطورية الرومانية إلى اعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية ثم اعترافه بها في مرسوم ميلان الشهير سنة 333م، وبهذا وضعت معالمها وبرزت تعاليمها وهذا الانتشار أو التطور جعل المثقفين يأخذون بهذه الأمور متسائلين عن العلاقة بين الله والمسيح، محاولين تحديد هذه العلاقة كما استفسروا عن طبيعة الملائكة، وعن المقصود بأنّ الخبز و النبيذ تحولاً إلى لحم المسيح ودمه، وسرعان ما احتلت هذه المسائل جانباً كبيراً من تفكير المسيحيين عندما غدت المسيحية ديناً رسمياً للدولة، وقد أدى هذا إلى تطور في أسلوب الدراسات اللاهوتية وقيامها على منهج يقتنع به المثقفون من معتنقي الديانة الجديدة، وقام بهذه المهمة مجموعة من كبار العلماء ومفكري المسيحية الذين يطلق عليهم لقب آباء<sup>(5)</sup>".

ويفهم من كلام إبراهيم خليل أحمد أنّ مسحة الثقافة الدّينية التي جاء بها بولس كانت حاضرة وبارزة في كتابات الآباء الدّين كانوا على معرفة بالفلسفة الكلاسيكية، فأفادوا منها ولا سيما من الآراء الأفلاطونية الجديدة- في تأييد

<sup>1</sup> إبراهيم خليل أحمد، المرجع السابق، ص 121.

<sup>2</sup> محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 123.

<sup>3</sup> -غلاطية 4 : 30 ، 31.

<sup>4</sup> متى 5 : 44 .

<sup>5</sup> إبراهيم خليل أحمد، المرجع السابق، ص 156.

## الدكتور محمد بو الروايح

آرائهم والتدليل عليها، وتقديم العقائد المسيحية في صورة علمية يتقبلها المثقفون، هذا إلى جانب أنّ هؤلاء عملوا على التوفيق بين تعاليم المسيحية من جهة ومطالب الدولة والكنيسة من جهة أخرى<sup>(1)</sup>.

ولا شك أنّ هذا الخطّ الفلسفي في المسيحية، وخروجها من دائرة التفوق كان عملاً قام به الرسول بولس، حتى إنّ رسائله التي كتبها إلى بعض البلاد والشعوب كانت تحمل في طياتها وعباراتها هذا السّمّ الفلسفي - الذي أعطى بعداً فلسفياً للمسيحية لم تبلغه من قبل ولكن هذا البعد الفلسفي في جانب آخر أساء إلى المسيحية ونزع عنها كثيراً من خصوصياتها.

## تاريخ المجامع المسيحية:

تحدّث إبراهيم خليل عن المجامع المسيحية، وكيف أنّها وظفت من قبل الكنيسة المسيحية الأولى لحسم كثير من المشكلات التي حدثت بين الفرق الدينية المختلفة، يقول إبراهيم خليل، عن الخلاف العقائدي الذي حدث بشأن طبيعة المسيح كان داعياً لعقد مجمع نيقية 325م: "حدث خلاف جوهري بين اثنين من رجال الكنيسة بالإسكندرية حول تحديد العلاقة بين المسيح الابن والإله والآب فقال آريوس، وهو أسقف إسكندري - إنّ المنطق يحتم وجود الآب قبل الابن ولما كان المسيح الابن مخلوقاً للإله الآب، فهو إذن دونه، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يعادل الابن الإله الآب في المستوى والقدرة، وبعبارة أخرى فإنّ المسيح مخلوق لا إله، بمعنى هذه الكلمة المطلق وإلا فإنّ المسيحيين يصبحون متهمين بعدم التوحيد وعبادة إلهين. وقال أثناسيوس - وهو شماس إسكندري إنّ فكرة الثالوث المقدس تحتم أن يكون الابن مساوياً، للإله الأب تماماً في كل شيء، بحكم أنّهما من عنصر واحد، وإذ كانا شخصين متميّزين... ) وحسماً للموقف دعا الإمبراطور قسطنطين إلى عقد مجمع نيقية سنة 325م، وفيه صدر قرار بإدانة آريوس أسقف الإسكندرية وتوالت بعدئذ الدعوة إلى عقد المجامع يحضرها أساقفة المعمورة ليتدارسوا فيها شؤون الكنيسة، وما يرتبط بها من نظام كهنوتي، وعقيدة، ولاهوت<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>. المصدر نفسه، ص 156.

<sup>2</sup>. إبراهيم خليل أحمد، المرجع السابق، ص 158.

## الدكتور محمد بو الروايح

وهكذا نجد أن تاريخ المجامع المسيحية كلّه يقوم على حاجة إلى حلّ عقدي لمشكلة لاهوتية، ولتأكيد هذا توالى المجامع، مجمع القسطنطينية الأول 381م، الذي قرّر إلهية الروح القدس، ومجمع خليقدونية سنة 451م الذي اتّخذ فيه قرار بأنّ للمسيح طبيعتين طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية متحدتين اتحاداً وثيقاً، ومجمع القسطنطينية الثالث سنة 860م الذي أدان قرار مذهب الطبيعة الواحدة، ومجمع نيقية الثاني سنة 787م الذي أدان اللاإيقوانية، وهي الدعوة المسيحية الحديثة التي ظهرت ، تدعو إلى إزالة الإيقونات من الكنائس المسيحية، وبالجملة فإنّ تاريخ المجامع المسيحية لم ينفصل عن التطوّرات والحاجات والمشكلات العقائدية التي كانت تحدث، فلا تجد الكنيسة المسيحية طريقاً لحلّها إلاّ عن طريق عقد المجامع.

الدكتور محمد بو الروايح

## العقائد المسيحية:

1- **عقيدة الصّلب:** وقد ذكر إبراهيم خليل أنّ عقيدة الصّلب جاءت في سياق تطوّر التاريخ السياسي للصّلب، وأنّه كان رمزا دينياً قديماً لم تفرضه المسيحية إلاّ في عصر متأخر، وجعله بولس عنواناً لدعوته كما يقول إبراهيم خليل أحمد: " هذه قصة الصّلب الذي مجده بولس المدعو رسولاً، وجعله موضع كرازته وتبشيريه بقوله: " لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً<sup>(1)</sup> .

2- **عقيدة نبوة المسيح لله:** وهذه العقيدة لها صلة وثيقة بالفكر اليهودي، والنبوة تقتضي القرب وحتى الاندماج والحلول، و من هنا تمخضت فكرة أنّ المسيح هو جوهر الله في المسيحية، وهذا راجع إلى الأثر التاريخي الكبير الذي تركه الفكر الدّيني اليهودي في المسيحيين وخاصة الأجيال المتأخرة، ولهذا أو لغيره من الأسباب وجدت دعوة بولس - المسيح ابن الله - صدى وقبولاً لدى شرائح كبيرة من المسيحيين في الأقاليم التي وصل إليها التبشير في عهد الرّسل.

3- **عقيدة التثليث:** ولا نحتاج إلى التأكيد على أنّ هذه العقيدة عقيدة وثنية في بعدها التاريخي والعقدي، وقد بسطت هذه المسألة في الفصول والمباحث التي سبقت.

## تاريخ انقسام الكنيسة:

لا أريد أن أتحدث في حيثيات هذا الانقسام ولكن أبدأ من زمن الانقسام بعد ظهور الكنيسة الكاثوليكية على أنقاض الكنيسة العالمية الموحدة يقول فيليسيان شالي: " ثمّ جاءت الكنيسة الكاثوليكية لتحل محل الكنيسة العالمية، وتعني معناها، وسمّاها البروتستانتيون باسم الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، ومنها انشقت الكنائس الأرثوذكسية، ثمّ الكنائس البروتستانتية والكنيسة الكاثوليكية هي ديانة الشعوب اللاتينية، أو شعوب البحر الأبيض المتوسط بخاصة، وكذلك أيرلندا وألمانيا الجنوبية، أما الكنيسة الأرثوذكسية فهي ديانة أوربا الشرقية والبروتستانتية هي الكنيسة الغالبة على شعوب العراق الألماني، في أوربا الشمالية<sup>2</sup>.

ويتحدث فيليسيان شالي عن الكنيسة الكاثوليكية وعن نظامها الدّيني وسلطة البابا فيها فيقول عنها: " إنّها جماعة منظمة ومتسلسلة المراتب بدرجة عظيمة ويقوم البابا في قمة هذا التسلسل، وترى الكنيسة الكاثوليكية أنّ البابوية، من

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 166.

<sup>2</sup> فيليسيان شالي، المرجع السابق، ص 258.



## الدكتور محمد بو الروايح

أصل ديني<sup>(1)</sup>، إلا أنّ التاريخ يثبت العكس، أمّا أسست في النصف الثاني من القرن الرابع وذلك عندما وضع الإمبراطور القوّة العامة في خدمة أسقف روما ثمّ إنّ البابا يقوم على رأس دولة كنيسة، وفي القرون الوسطى كان يعلن أولوية السلطة الروحية على السلطة الزمنية. وكثيراً ما يمارس عملاً كنسياً، تعجب منه حتى العقول النيّرة الحرّة، مثل أوغست كونت<sup>(2)</sup>. وفي فترات أخرى ولا سيما في عهود كعهد اليورجيا كانت كل أنواع الجرائم والفضائح تلتطخ شرف البلاط الكنسي<sup>(3)</sup>. وللكنيسة الكاثوليكية تقاليد كنسية كثيرة يمكن أن أوجزها كما يأتي:

1- الاعتراف للبابا: الذي هو رأس الكنيسة، الكاثوليكية أو الراعي الأول للكنيسة بأنّه معصوم، وإثبات المعصومية أو العصمة للباباوات تقليدي كنسي قامت عليه الكنيسة الكاثوليكية منذ نشأتها، ولم تؤثر في هذا التقليد حتى حركات الإصلاح التي حدثت في تاريخ الكنيسة، بل إنّ هذه المعصومية كما يقول - فيلسيان شالي<sup>(4)</sup>، أعلنت بمجمع الفاتيكان عام 1870م.

2- يقوم نظام الكنيسة الكاثوليكية على مبدأ التدرج في الوظائف الدّينية، حيث يأتي بعد الباباوات الكاردينالات ثمّ البطارقة ثمّ المطارنة، ثمّ الرهبان ومجموع هؤلاء، يؤلفون ما يسمّى الهيئة الكهنوتية والرهبان ملزمون ببعض الواجبات الخاصة مثل العزوبة الموصى بها، بدءاً من القرن الرابع، والمفروضة بدءاً من القرن السادس عشر في مجمع ترانت<sup>(5)</sup>.  
3- احتفاظ الكنيسة الكاثوليكية بما تعتقد أنّه حق ديني مقدس، يتمثل في انفرادها بتفسير الكتاب المقدس ويعود كل المؤمنين إليها ويراجعونها في هذه المسألة الدينية المقدسة، يقول فيلسيان شالي: "وعلى المؤمنين في الكنيسة الكاثوليكية وكذلك على العلمانيين، أن يدعوا للكنيسة أمر توجيههم، وبدءاً من القرن الثالث عشر، منع عنهم حق قراءة الكتب المقدسة إلاّ بترخيص من الكنيسة، وعليهم أن يقبلوا بلا نقاش، عقائد الكنيسة التي هي تعابير عن الحقائق الموصى بها،

<sup>1</sup>. ويستند هذا التأكيد إلى نص من إنجيل متى (18/16-19) ويشتمل على كلام المسيح، أو على تعبير سماوي جاء فيه قوله: "وأنا أقول لك أنت الصفاة، وعلى هذا الصفاة سألني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات...". انظر: فيلسيان شالي، المرجع السابق، ص 258.

<sup>2</sup>. كتب أوغست كونت يقول: "يصبح البابا الرئيس الطبيعي للجمهورية الغربية، التي تقوم رابطتها العامة على الجماعة الحرّة الموحدة في التربية والعبادة والأعراف والمنظمة لكهنوتها. كونت، منظومة السياسة، المكتبة الوضعية، ط1، 1854، ج3، ص484.

<sup>3</sup>. فيلسيان شالي، المرجع السابق، ص158.

<sup>4</sup>. فيلسيان شالي، ص158.

<sup>5</sup>. المصدر نفسه، ص258-259..

## الدكتور محمد بو الروايح

فإن لم يفعلوا فهم هراطقة، وتبعاً لتعبير أخاذ جاء به بوسويه، نقول: "إنّ المهر طق هو الشخص الذي له رأي"<sup>(1)</sup>. وإنّ أمر الكنيسة الكاثوليكية يثير العجب وإلاّ كيف يقبل أن يكون مجرد إبداء الرأي هراطقة محرمة يعاقب عليها القانون الكنسي".

4- تقييم الكنيسة الكاثوليكية وزناً كبيراً لمريم العذراء، وانتهت في هذا أخيراً إلى قبول فكرة الحمل من غير دنس، أمّا الثالث اللاهوتي فقد حلّ محلّه، في إطار التقوى الشعبية، ما سمّي بالثالث الجزوي J.M.J أي يسوع- ماري، يوسف<sup>(2)</sup>.

5- الأسرار الكنسية: وتكاد تكون خاصة أو طقساً يميّز الكنيسة الكاثوليكية يقول فيليسيان شالي: "أمّا الأسرار، فهي شعائر أو طقوس معدّة لإعاشة المؤمنين حياة مسيحية، أو لتنمية هذه الحياة بينهم وهي سبعة أسرار: سرّ العماد، وسرّ الميرون، و سرّ القربان المقدّس، وسرّ التوبة أو الاعتراف، وسرّ الزواج أو الزيجة، وسرّ الرّسامة أو التثبيت وسرّ مسحة المرضى المشرفين على الموت"<sup>(3)</sup>.

## الإسلام:

هو دين الفطرة والملة الحنيفية فهو كما أسلفت ليس اسماً لدين معيّن، وإتّما اسم لدين الله الذي تعبّد به النّاس على أيدي الأنبياء قبل محمد- صلى الله عليه وسلم- وهذا ماتقرّره الآية الكريمة: " شرع لكم من الدّين ما وصى به نوحاً والذّي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه"<sup>(4)</sup>

## ثبات النصوص الدّينية القرآنية:

ظهرت في القرن التاسع عشر بأوربا ثورة فكرية سمّيت " فن النقد الأعلى" Higher criticism، والأثر المباشر لهذا الفن كان بمنزلة اعتراف بالقرآن دون الملل الأخرى ككتاب ثابت تاريخياً<sup>(5)</sup>.

وقد اعترف مايكل هارت بهذه الحقيقة التاريخية بعد اختبار طويل وقال عنها: " والقرآن الكريم نزل على الرّسول كاملاً وسجلت آياته وهو مايزال حيّاً، وكان تسجيلاً في منتهى الدّقة، فلم يتغير منه حرف واحد، وليس في المسيحية

<sup>1</sup>. المصدر نفسه، ص 259.

<sup>2</sup>. المصدر نفسه، ص 259.

<sup>3</sup>. المصدر نفسه، ص 25.

<sup>4</sup> -الشورى 13.

<sup>5</sup> -وحيد الدين خان ، واقعنا ومستقبلنا في ضوء الإسلام ، ترجمة سمير عبد الحميد ، دار الصحوة ، القاهرة 1984 ، ص 257.

## الدكتور محمد بو الروايح

شيء مثل ذلك فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن ولا تسلم الأناجيل أيضا من الطعن باستعمال منهج النقد العلمي من حيث اتصال السند والتوثيق فإن الإنجيل الأول المنسوب إلى متى كتب أولا باللغة الآرامية وليس لدى النصارى منه إلا الترجمة اليونانية بلا معرفة للمترجم وبلا سند كامل متصل " وإنما يأخذون بالظن فيقولون لعله فلان أو فلان فيتمسكون بقرائن لا تجزي، مثل اتفاق هذه الكتب في بعض مضامينها وشهادة بعض تابعي الحوارين بوجود بعضها في القرن الأول والثاني، ثم اشتهارها في أواخر القرن الثاني وابتداء القرن الثالث، وهم يعتذرون عن ذلك بأنها كتبت في خلال السرية بسبب الاضطهادات التي حلت بأسلافهم<sup>(1)</sup>.

## خلو الإسلام من الكهنوت:

يرجع ظهور الكهانة تاريخياً إلى مرحلة ظهور الأنبياء عند اليهود، فقد اشترك الكهنة مع الأنبياء حينئذ بادعاء الوحي وتقديم النصائح، ولكن الفرق بينهما هو بعد الأنبياء على المعابد، وانقطاع صلاتهم بالهيكل أو القرايين ويتضح التمييز بأن الكهانة وظيفة تعارض النبوة في كثير من الأوقات<sup>(2)</sup>، كما كان النزاع بينهما قائماً دائماً، حيث كان الكهنة يحقدون على الأنبياء لتدخلهم في الشؤون الدينية محاولين الانفراد بهذا المنصب وفي المسيحية شيء مثل ذلك، فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم<sup>(3)</sup>.

ومن هنا فلا سبيل إلى تشبيه القرآن الكريم - كما يقرر حسن ظاظا من قريب أو من بعيد بالتصووص المقدسة التي بين أيدي اليهود، فالعهد القديم استغرق أجيالا من الأنبياء متعاقبين على طيلة ألف سنة تقريبا، كذلك المشنا والتلمود استغرقا ألف سنة<sup>(4)</sup>، وهي فترة لا يمكن تصويرها مجتمعين متشابهتين، أحدهما يلي الطرف الأول والثاني على طرفها الأخير.

ويذهب مصطفى حلمي المذهب نفسه في تأكيد انفراد القرآن الكريم بخاصية الثبات والتواتر، وهو ما لا يتوافر في الأناجيل حيث يقول: " ولم تسلم الأناجيل أيضاً من المطاعن باستعمال منهج النقد العلمي من حيث اتصال السند

<sup>1</sup> - مايكل هارت ، الخالدون مائة أعظمهم محمد ، ترجمة أنيس منصور ن المكتب المصري الحديث ، القاهرة 1984 ، ص 17.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد ، أبو الأنبياء ، كتاب اليوم 1953 ، ص 25.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ، ص 25 .

<sup>4</sup> حسن ظاظا ، الفكر الديني اليهودي : أطواره ومذاهبه ، دار القلم ، دمشق ، دار العلوم والثقافة ، بيروت ، 1987 ، ص 30.

## الدكتور محمد بو الروايح

والتوثيق، فإنّ الإنجيل الأول المنسوب إلى (متّى) كتب أولاً باللّغة الآرامية، و لم يكن ما ورد فيه بشأن الخلاف الذي حدث بين عيسى عليه السلام- وكهنة الهيكل إلّا حلقة من حلقات مماثلة بين الأنبياء والكهنة<sup>(1)</sup>.

ولا أريد أن أستطرد في الحديث عن الكهانة ولا عن نشأتها التاريخية، ولا عن طرائقها في المجتمعات اليهودية والمسيحية وغيرها التي أخذت بها، لأنّ هذا ليس قصدي من الحديث، وإتّما مقصدي أن أوضح أنّه لا صلة للإسلام بالكهنة، ومن ثمّ فهو بالتعبير اللاهوتي إنّ صحّ التعبير- ليس ديناً كهنوتياً يقول مصطفى حلمي: " وجاء الإسلام يبطل ذلك كلّهُ، واستقرت في العقيدة الإسلامية حقيقة النبوة الصادقة، حيث أورد القرآن الكريم قصص الأنبياء والرّسل وصفاتهم وأخلاقهم ورسالتهم، وتحققت في شخصية الرّسول صلى الله عليه وسلم- صفات النبي الخاتم<sup>(2)</sup>.

وإتّما يجرّم الإسلام الكهانة ليس لدورها الدّيني الوظيفي في المعبد، فذلك مسلك عبادي لا غبار عليه، وإتّما لإيمانها بأنّ العبادة لا تصحّ- أو بالأحرى لا يجوز التوجه إلى الخالق إلّا بواسطة الكهنة، وهذه هي الوساطة الكهنوتية التي يرفضها الإسلام، لأنّه ببساطة في الإسلام لا واسطة بين الخالق والمخلوق في شؤون العبودية، وهو ما تقرّر في أصول عقيدتنا الإسلامية، وقد منع الإسلام هذا المسلك الكهنوتي، لأنّه في أكثر الأحوال يؤدي إلى الإشراف بالله أو إلى ادّعاء الربوبية من قبل الكهنة، أو إلى اتّخاذ أتباعهم لهم أرباباً كما قال القرآن الكريم: " اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله<sup>(3)</sup> .

## الديانة البوذية:

تنسب هذه الديانة إلى " حوتاما بودا"<sup>(4)</sup>. الذي ولد في القرن السادس قبل الميلاد وقد عاش بوذا حياة الزهد والتشرف<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - مصطفى حلمي ، المرجع السابق ، ص 262 ن 263.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص 263.

<sup>3</sup> - التوبة 31. وانظر : مصطفى حلمي ، المرجع السابق ، ص 263 وما بعدها .

<sup>4</sup> . بوذا ليس اسم علم على شخص وإنما هو لقب شرف ديني عظيم لدى الهنود- معناه الحكيم أو المستنير، ولا يطلق في اصطلاح المتدينين من الهنود إلّا على كل من هؤلاء القليلين من بني الإنسان الذين جاهدوا جهاداً روحياً عنيفاً في سبيل الوصول إلى الحق:

انظر: حامد عبد القادر، بوذا الأكبر: (حياته وفلسفته، سلسلة قادة الفكر والشرق، رقم 81 تحضة مصر 1957، القاهرة ص34.

<sup>5</sup> . عن تفاصيل حياة بوذا راجع: توملين، فلاسفة الشرق، ترجمة عبد الحليم سليم، مراجعة علي أدهم ط دار المعارف، ص211.

## الدكتور محمد بو الروايح

يذكر المؤرخون أنه رغم أنّ والد بوذا كان رئيس قبيلة، وكان من الطبقات الممتازة إلاّ أنّه فضّل حياة التنسك والزهد، وقد اقتنع بديانته عدد كبير من الهنود وبدأت تنتشر شيئاً فشيئاً حتى انتشرت في بلاد الشرق.

**مذهب بوذا:**

كانت الفكرة الرئيسة لمذهب "بوذا" فكرة الألم، لأنّ الحياة عنده كلّها إما ألم واقعي وإما سرور سريع حائل ينتهي حتماً إلى ألم محقق، ولما كانت غاية "بوذا" في مهمته هي النجاة من كلّ هذا فقد فكر وأطال التفكير في الوسيلة التي يستخدمها للوصول إلى هذه الغاية، فانتهى به تفكيره إلى أربع حقائق<sup>(1)</sup>، وهي كما يلي:

أولاً: أنّ الوجود كله هم وحزن، بمعنى أن هذه الحياة بجميع صوّرها - الولادة والنمو والشيخوخة والمرض وفراق الأحباب مما يؤلم الإنسان ويضيره، ويسبب له الهم والحزن، لذلك فالعالم كله ألم في رأي جوتاما بوذا<sup>(2)</sup>.

ثانياً: أنّ هذا الألم نشأ عن أصل في الإنسان، وهذا الأصل هو الشهوة فالشهوة هي سبب الغم والحزن، فالإنسان باتّصاله بالحياة الخارجية تتحرك في نفسه الشهوات الحسية، والرغبات الدنيوية، فتتوق نفسه إلى الاستمتاع بملذات الحياة ومباهج العيش وهو في الغالب كما يرى بوذا لا يستطيع تحقيق أمانيه ولذلك يعتره الحزن ويحيط به الغم من كلّ جانب فالشهوة هي منبع الحزن والهم والغم ولذلك هي مصدر الألم.

ثالثاً: لكي يتخلص الإنسان من الألم والحزن والهم والغم فيجب عليه أن يتغلب على تلك الشهوة وأن يقهرها وأن يقطع كل صلة تربطه بالحياة المادية.

لذلك يقول بوذا "انظروا أيها الرهبان هذه الحقيقة المقدّسة بشأن الألم، إنّ الولادة والشيخوخة والمرض والموت وفراق الإنسان لمن يحبهم إنّها كلّها آلام، إنّها التعطش إلى البقاء، والتعطش إلى ما هو فانٍ، وهامي ذي الحقيقة على نحو الألم، إنّها القضاء على تلك الشهوة بالقضاء على الرغبة<sup>(3)</sup>.

فقتل الشهوات ومحو الرغبات - في رأي بوذا - هو الذي يحرّر الإنسان من أغلال الحياة، وينقذه من آلامها.

1. محمد غلاب، الفلسفة الشرقية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية سنة 1950، القاهرة، ص 133.

2. أحد علي عجيبة، المرجع السابق، ص 29.

3. رالف لنتون، شجرة الحضارة،: قصة الإنسان منذ فجر التاريخ حتى بداية العصر الحديث، ترجمة أحمد فخري، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ج 3، ص 192.

## الدكتور محمد بو الروايح

رابعاً: لكي يصل الإنسان إلى القضاء على كل أثر من آثار الشهوة يجب عليه أن يمزج حياته بمجموعة من الفضائل المعينة<sup>1</sup> أهمها: الاتجاه دائماً إلى عمل الخير، والتفكير فيه، واجتناب الاتجاه إلى الشر والتفكير فيه وألاً يقتل أي كائن حي ولا يسرق، وألاً يكذب وأن يحفظ لسانه من السب والاستهزاء بالناس، لذلك قال بوذا: على المرء ألا يقتل كائناً حياً ولا يأخذ ما يعطى له، ولا يكذب، ولا يسكر ولا يزني<sup>(2)</sup>.

يقول أحمد علي عجيبة تعليقاً على ذلك: " ويتبع هذا التفرغ للتأمل والتبتل والرياضة الروحانية، والانغماس فيها كي يصل الإنسان إلى أعلى درجات الرقي الروحاني- لدى البوذيين- إلى النير فانا، ويذكر "ول ديورانت" أنّ الآراء اختلفت حول معنى النير فانا والسبب في هذا أنّ بوذا قد ترك معناها غامضاً ولذلك جاء أتباعه وفسروا الكلمة بما يستطيع أن يقع من ضروب التفسير: فالكلمة في السنسكريتية<sup>(3)</sup>، بصفة إجمالية معناها (منطقي)، كما ينطفيء المصباح وتنطفيء النار، أما الكتب البوذية المقدّسة فنستعملها بمعان:

(1)- حالة من السعادة يصلها الإنسان في هذه الحياة باقتلعه لكل شهواته الجسدية اقتلاعاً تاماً.

(2)- تحرير الفرد من عودته إلى الحياة.

(3)- انعدام شعور الفرد بفرديته.

(4)- اتحاد الفرد بالله.

(5)- فردوس من السعادة بعد الموت.

أما الكلمة في تعاليم بوذا فمعناها فيما يطهر إخماد شهوات الفرد، وما يترتب على ذلك من اللذات ومن ثواب يقصد به الفرار من العودة إلى الحياة.

وأما في الأدب البوذي فكثيراً ما تتخذ الكلمة معنى دنيوياً، إذ يوصف القديس في هذا الأدب مراراً بأنه اصطنع النير فانا في حياته الدنيا بجمعه لمقوماتها السبعة وهي: السيطرة على النفس والبحث عن الحقيقة، والنشاط والهدوء، والغبطة والتركيز وعلو النفس.

<sup>1</sup> - المصدر نفسه ، ج3 ، ص 193.

<sup>2</sup> - إيفار ليسنر ، الماضي الحي ، ترجمة شاكرا إبراهيم ، مراجعة محمد منصور ، الهيئة العامة للكتاب 1981 ، ص 178.

<sup>3</sup> - اللّغة الهندية القديمة، وهي اللّغة التي كتبت بها الكتب المقدّسة.

## الدكتور محمد بو الروايح

تلك هي مكونات النرفانا، لكنّها لا تكاد تكون عواملها التي تسبب وجودها، أما العامل المسبب لوجودها، والمصدر الذي تنبثق عنه النرفانا فهو إخماد الشهوة الجسدية، وعلى ذلك تتخذ كلمة "النرفانا" في معظم النصوص معنى السكينة التي لا يشوبها ألم، والتي يثاب بها المرء على إعدام نفسه إعداماً خلقياً<sup>(1)</sup>.

ولقد حدّد حامد عبد القادر معنى "النيرفانا" فقال: وكان يقصد بالنيرفانا في أول الأمر: انتقال الرّوح إلى الملاء الأعلى بعد أن يحيا الفرد حياة خلقية صافية راقية لا تضطره لأن يحيا حياة أخرى ولكن هذا المبدأ طرأ عليه فيما بعد معنى جديد إذ قصد به وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه والقضاء على جميع رغباته المادية والفرق بين المعنيين واضح، فالمعنى الأول يقضي بأنّ هذا المبدأ لا يتحقق إلاّ بعد الموت، أما الثاني فيقضي بأنّه من الجائز أن يصل المرء إلى مرتبة النيرفانا في حياته- إذا أفلح في الوصول إلى الدرجات العليا من درجات الرّقي الروحاني ولم يكن ثمّة داعٍ إلى تناسخ روجه<sup>(2)</sup>.

وكان بوذا يشترط على أتباعه الفقر والطهارة وعمل الخير، ويطلب منهم أن يلبسوا لباساً يميّزهم وهو الثوب الأصفر وحلق قمة الرأس، ونظّمهم في جماعات من رهبان الأديرة. وكان الرهبان البوذيون والراهبات اللاتي قبل بوذا انضمامهن إلى تنظيمه الدّيني بعد شيء من التمتع<sup>(3)</sup> يخرجن للتبشير بدينهم في الفصول غير الممطرة.

أمّا في الفصول الممطرة فكانوا يعودون إلى أديرتهم ويقضون الوقت في التأمل والدراسة<sup>(4)</sup>.

يذكر المؤرخون أنّه بعد وفاة بوذا اختلف أتباعه حوله خلافاً كبيراً وانقسموا إلى جماعتين:

- جماعة الهينايانا.

<sup>1</sup>. ول ديورانت، قصة الحضارة، المرجع السابق، ص 84-85.

<sup>3</sup>. حامد عبد القادر: بوذا الأكبر (حياته وفلسفته)، سلسلة قادة الفكر والشرق رقم 81. نخبضة مصر 1957. القاهرة، ص 81.

<sup>3</sup>. ولقد حذر بوذا أتباعه من مصاحبة النساء لذلك حين سأله أحد أحباره: ماذا تفعل عندما تتحدث إليك النساء؟ أجابه بالقول كن حذراً غاية الحذر.

راجع: إيفار لسنر: الماضي الحي (حضارة تمتد سبعة آلاف سنة المرجع السابق، ص 178. ويذكر (توملين) أنّ بوذا برغم أنّه حذر بالإقلال من التعامل مع النساء قدر المستطاع، لم يظهر هو نفسه نفوره من تكرار مصاحبتهن راجع: أ.م. توملين فلاسفة الشرق، ترجمة عبد الحليم

سليم، مراجعة علي أدهم دار المعارف 1980، القاهرة، ص 231.

<sup>4</sup>. رالف لينتون، المرجع السابق، شجرة الحضارة، ج 3، ص 190.

## الدكتور محمد بو الروايح

- جماعة المهايانا.

وهذه الجماعة الأخيرة هي التي أضفت على بوذا صفات الألوهية و عرفته في صورة رب العالمين<sup>(1)</sup>.  
 أمّا جماعة (المهنايانا) فقد عرفته في صورة بشرية وقد انتشرت البوذية بعد بوذا انتشاراً كبيراً وساعد على ذلك أنّ الإمبراطور "أشوكا"<sup>(2)</sup>، اعتنق الديانة البوذية وتحمس لها حتى أصبح من أكبر المبشرين لا في إمبراطوريته فحسب بل فيما جاورها وما وراءها أيضاً ولذلك أرسل سفرائه إلى بلاد اليونان وإنطاكية والإسكندرية للتبشير بالديانة البوذية.  
 ولم تأت سنة 200 ق.م إلاّ والمؤلفات البوذية منتشرة في معظم أنحاء العالمين اليوناني والروماني<sup>(3)</sup>.

### حياة بوذا:

اتَّفَق الباحثون في تاريخ الأديان والعقائد على أنّ سيرة بوذا لا تخلو من قصص خيالية و أساطير حيكت حوله منذ مولده حتّى وفاته، حيث ينسبون إليه معجزات وكرامات وعلى أية حال- فسنسرد أهم وقائع حياته وتوطئة لاستخلاص مذهبه ودعوته التي انتشرت في الآفاق حتى الآن<sup>(4)</sup>.

ولد بوذا في عام 568 ق.م ونشأ في قصور أبيه الذي يعدّ من طبقة المحاربين وعاش عيشة ترف، وتعلّم الفروسية ثمّ تزوّج في السادسة عشرة من عمره.

ولكن هذه الحياة الرغدة المنعمة لم تحل بينه وبين مشاركة التعساء والمصابين أحزانهم، وآلامهم فقد خرج من القصر ذات يوم فرأى شيخاً فانياً وعاد إلى منزله يفكر فيما يفعل الزمن بالمرء من تغيير، حيث يسلبه القوّة والنضارة والحيوية والعافية، وفي اليوم الثاني رأى مريضاً أتلفه السقم والداء، فرجع حزيناً يفكر لماذا يمرض هذا المسكين؟ من الذي يغير حاله؟ ولماذا تستحيل حياته عذاباً، وفي اليوم الثالث رأى جنازة ميت، فعاد والحزن والألم يعتصران قلبه<sup>(5)</sup>.

وعمقت هذه المشاهد في نفسه إحساس التشاؤم، ودفعته إلى التساؤل عن كيفية الحل لهذه المشكلات في رأيه، أي الشباب ذوي الصّحة التي تفتى والعمر الذي يمضي ، وأدت به إلى ما تحفل به الدنيا من ألم وشقاء وتعب، فأخذ يبحث

1. أحمد علي عجبية، المرجع السابق، ص31.

2. إمبراطور هندي عاش ما بين عام 243 ق.م - 232 ق.م.

أحد علي عجبية، المرجع السابق، ص32.

3. المصدر نفسه، ص32.

4. مصطفى حلمي ، المرجع السابق، ص98.

5. أحمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور ، المرجع السابق ، ج1، ص 167.



## الدكتور محمد بو الروايح

عن سبيل الخلاص، مصمماً على البحث عن الحقيقة مهما كلفه الأمر، وكان حينذاك في التاسعة من عمره، حيث ودّع زوجته وابنه وترك القصر هائماً على وجهه، ثم استبدل ملابسه مع سائل في الطريق، وتوجّه إلى الكهوف ليقوم مع بعض النساك البراهمة، فنافسهم في حياة الزهد والتسك ولم يكتفِ بوذا بهذا القدر من الزهد والتقشف على طريقة النساك والبراهمة، وإنما أدرك أنّ البرهمية عاجزة عن حل لغز الوجود، ومشكلة الحياة، فانصرف إلى غابة أخرى، وازداد قوّة على نفسه متقبلاً في أشد ضروب التقشف والحرمان وإذلال البدن وقضى ست سنوات في هذه الحياة حتّى أشرف على الهلاك وذاع صيته في الآفاق.

وتبالغ الأسطورة في وصف حياته آنذاك فتصوّره بأنّه أخذ في تعذيب جسده حتى لم يبق به حركة، فبلغ السكون التام حتى كانت الطيور تقع عليه آمنة وتتحرك الوحوش خلفه مطمئنة ولما بلغت به حالة التقشف والحرمان إلى فقدان القوّة عن الحركة، وعطلت فيه قوى الفكر، قرّر ترك الحياة المسرفة في تعذيب الجسد عائداً إلى الطعام والشراب والكساء، فبدأ يستعيد نشاطه وقوّته فمضى سائراً في سبيله حيث وجد شجرة فجلس يستظل بظلّها<sup>(1)</sup>، وعندئذ حدثت واقعة حصوله على المعرفة (النيرفانا) ويعبر عن هذه النيرفانا التي سبق أن تحدثت عنها بتعبير آخر هي الإشراق، كما قال مصطفى حلمي: "تروي الأساطير أنّه أثناء جلوسه تحت ظلّ الشجرة، وهي شجرة تين في رواية فاض عليه العلم، وانكشفت له كثير من أسرار العلم، أو أنّه حصل على الإشراق التي كان يتربّحها<sup>(2)</sup>".

## المذهب الأخلاقي في البوذية:

إنّ السمات الأخلاقية البوذية بارزة بما تشتمل عليه من الحث على الفضائل واجتناب الرذائل. يقول محمد أبو زهرة: "الجزء الخصب في البوذية هو مذهبها في الأخلاق وإصلاح المجتمع وتخفيف ما فيه من شقاء<sup>(3)</sup>".

كذلك فإنّ بوذا أدرك - كشأن أصحاب الدعوات الذين يريدون نشرها بين الناس - دور الدعاة في نشر دعوته، فاعتنى بتربيتهم لاكتساب الخصال النفيسة والفضائل الأخلاقية اللازمة لأداء رسالتهم على أحسن وجه، فأخذ يريهم على الصبر واحتمال أذى المعارضين والخصوم ومهما يكن من أمر، فإنّ الروايات المنقولة عن بوذا تمضي فتذكر أنّه تردّد

2. المصدر نفسه، ص116، 120.

2. أحمد شلبي، المرجع السابق، ص142.

3. محمد أبوزهرة، الديانات القديمة، دار الفكر العربي 1965، ص71.

## الدكتور محمد بو الروايح

في أول أمره بين أن ينعم وحده بالمعرفة التي نالها، أو أن يبشر بها وينشرها ثم استقرّ رأيه على دعوة الناس إليها بعد أن تغلب الخير على نفسه، وبعد ذلك جمع عدداً من الشبان بلغ تعدادهم السّتين، وأخذ يعلمهم مبادئه ويلقنهم دعوته فاشتهرت دعوته بتسميتها النظام أو عجلة الشريعة.

وهناك نموذج من اختيار أعوانه أو مريديه بعد تربيتهم، يعبر عن مدى التصميم على الدعوة والاستعداد لتقبل التضحية مهما كانت الصّعب<sup>(1)</sup>.

كان لبوذا مرید يسمّى (بودنا) يريد الذهاب إلى إحدى القبائل المعروفة بالشراسة والخشونة، فأراد بوذا اختبار مدى قدرته على التحمل، فقال له: إنّ رجال هذه القبيلة قساة سريعو الغضب فإذا وجّهوا إليك ألفاظاً بذيئة خشنة ثم غضبوا عليك وسبوك فماذا كنت فاعلاً؟ و أجاب بودنا أقول لا شكّ أنّ هؤلاء قوم طيّبون، لئبو العريكة، لأنّهم لم يضربوني بأيديهم، ولم يرموني بالحجارة.

فإن ضربوك بأيديهم ورموك بالحجارة، فماذا كنت فاعلاً: أقول إنّهم طيّبون لئنون إذ لم يضربوني بالعصي و لا بالسيوف فإنّ ضربوك بالعصي والسيوف؟ أقول إنّهم طيّبون لئنون إذ لم يرموني بالحجارة فإنّ حرموك الحياة؟ أقول إنّهم طيّبون لئنون إذا خلّصوا روحي من سجن هذا الجسد السيئ بلا كبير ألم. فأعجب به بوذا ويطلب منه الذهاب إلى تلك القبيلة موجّهاً إيّاه بالوصية التالية: " وكما تخلّصت فخلّصهم، وكما وصلت إلى الساحل فأوصلهم معك، كما تعزيت فعزيتهم، وكما وصلت إلى النيرفانا الكاملة فأوصلهم إليها مثلك<sup>(2)</sup>.

## الفضائل الأخلاقية في البوذية وطرق اكتسابها:

تندرج عناصر المذهب الأخلاقي في البوذية بالتنصيص على أركان أربعة، ثمّ تتلوها خطوات السير الحثيث في ثماني شعب أما الأركان الأربعة فهي:

- 1- الاعتراف بوجود الألم والشقاء.
- 2- التسليم بوجود سبب للألم والشقاء.
- 3- التصميم بإمكان إزالة هذا السبب.
- 4- وجود السبيل لتحقيق إمكان هذه الإزالة.

<sup>1</sup>. أحمد شلبي، ديانات الهند الكبرى، ص146، 147.

<sup>2</sup>. فريد وجدي، دائرة المعارف، ج2، ص389-390 نقلاً عن ديانات الهند الكبرى، ص147-148.

## الدكتور محمد بو الروايح

وتتلخص سبل إزالة الألم في (قتل الشهوة التي تربطنا بملذات الجسد وتدفعنا لطلبها، مع أنّ ما نطلبه يزول ويتغيّر، وكلّ ما يزول ويتغيّر فهو شقاء، ولا نجاة و لا خلاص إلاّ بأن نبذ ما تريده الشهوة، وفي ذلك قتلها، وفي قتلها النجاة و الخلاص)<sup>(1)</sup>.

لهذا كان عماد بوذا في مذهبه الأخلاقي أن يجاهد الشخص الشهوات ويروض إرادته على الصبر على الحرمان من اللذات، ويتحقق ذلك بسلوك الجادة المستقيمة بتقييد حياته بثمانية أمور:

- 1- الاتجاه الصحيح المستقيم إلى ما يريده اتّجهاً حالياً من كلّ سلطان للشهوة واللذات وما تبعثه من أمانبي.
- 2- الإشراف الصحيح المستقيم ، وذلك بأنّه عندما يتوجّه أو يتجه الاتجاه الصحيح المستقيم بناء على الأمر الأول، وتعتريه نورانيه تجعله يستطيع الوصول إلى حقائق الأشياء.
- 3- التفكير الصحيح المستقيم ، وذلك أنّ العقل عند خلوه من شوائب اللذة يصبح تفكيره مستقيماً لا تؤثر فيه نزعه هوى ولا جموح شهوة.

4- ويترتب على الخطوات الثلاث السابقة أمر رابع وهو اطمئنان العقل والقلب إلى الاعتقاد الصحيح الذي يطمئن القلب.

- 5- نطق الإنسان وأقواله بأن تكون مطابقة تماماً لاعتقاده و لما ارتاح إليه.
- 6- يصبح السلوك مستقيماً فيكون العمل مطابقاً للعلم لا مجافاة بينهما.
- 7- تتحقق بعد ذلك الحياة الصحيحة وقوامها هجر اللذات هجراً تاماً، ولا تشذ عن السلوك القويم.
- 8- يتوج ذلك كلّ المثابرة على بذل جهود الإنسان كلّها في سبيل أن تكون الحياة مستقيمة<sup>(2)</sup>.

واستخلاصاً من المذهب الأخلاقي، كانت للبوذية بعض الوصايا التي تشكّل آداباً عاماً صالحة وهي:

- 1- لا تزهد روح أحد.
- 2- لا تكذب.
- 3- لا تزن.
- 4- لا تأخذ مالا محرماً.

<sup>1</sup>. أحمد عبد الغفور، عطار، المرجع السابق، ص127.

<sup>2</sup>. محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص72-74 باختصار.

## الدكتور محمد بو الروايح

- 5- لا تتناول مسكراً.
- 6- لا تأكل طعاماً غير ناضج.
- 7- لا تشهد حفل رقص وغناء.
- 8- لا تتزين ولا تستعمل عطرأ.
- 9- لا تتخذ أي فراش وثير.
- 10- لا تقبل من أحد ذهباً أو فضة<sup>(1)</sup>.

## المآخذ على المذهب الأخلاقي في البوذية:

يندرج تقييمنا أو نقدنا للمذهب الأخلاقي في البوذية ضمن اتجاهين أو مسلكين:  
الاتجاه أو المسلك النظري والاتجاه العملي:

1- الاتجاه أو المسلك النظري: يبدو المذهب الأخلاقي في البوذية في ظاهره أمراً مرغوباً فيه، لا يعترض عليه لأنه يدعو إلى مجاهدة النفس، وقتل الشهوة بتنمية الجانب الروحي والمعنوي في الإنسان، وهذه كلها فضائل تعارف عليها الناس، وجاءت النبوات والرسالات لتأكيدتها وتوثيقها، ولكن إذا تجاوزنا هذا الجانب الظاهر ودققنا النظر، وكانت لدينا فكرة عن النظم الأخلاقية المتكاملة، وجدنا المذهب البوذي يتهاون ويتساقط أمامنا، وقد أفضت نتائج التأمل الدقيق للمذهب الأخلاقي البوذي إلى تسجيل المآخذ الآتية:<sup>(2)</sup>

1- إن هذا المذهب الأخلاقي تنقصه الفضائل المتنوعة بتنوع الحياة الإنسانية في علاقتها المتشعبة كالفضائل في العلاقات الاجتماعية، والفضائل العامة والعلاقات الدولية وأيضاً في مجال الفضيلة الشخصية نفسها كمبدأ (النية) باعتبارها لب العمل الأخلاقي<sup>(3)</sup>.

2- تنقص هذا المذهب الأخلاقي ما يسمى في علم الأخلاق بعناصر الإلزام أو وسائل الردع وهي التي تلزم الناس سلوك الطريق القويم، وتردع المنحرفين الخارجين عنها، فالأخلاق حسب المفهوم الأخلاقي شأن ذاتي ينبع من الفرد، ولكنه كذلك أمر إلزامي، وخاصة في حالة من يحاولون كسر هذه الأخلاق والتمرد عليها وإعلان الحلة منها.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 76 وانظر محمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، ص 127.

<sup>2</sup> مصطفى حلمي، المرجع السابق ص 114.

<sup>3</sup> محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ص 105 وما بعدها.

الدكتور محمد بو الروايح

3- ويخلوا المذهب أيضا من العقيدة التي لولاها لما استطعنا إقامة بناء أخلاقي متكامل، فقد رأينا بوذا أميل ما يكون إلى إنكار الإله، وكان يتحاشى كل ما يتصل ببحث ما وراء الطبيعة (أو عالم الغيب) بالمفهوم الديني فقد جعل بوذا كل همه منصرفا إلى البحث عن الإصلاح النفسي من داخل النفس دون الاعتراف والاعتراف من شريعة منزلة أو حتى من شريعة غير منزلة، المهم أن تكون مشتملة على وجود حس ديني معين.



## 1-الاتجاه أو المسلك العلمي

يقول مصطفى حلمي وهو ينتقد المنهج الأخلاقي في البوذية لاستحالة تطبيقه في الواقع المعيش: " إذا بدأنا في التنفيذ فإن أول ما نلاحظه أن الطريقة البوذية أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع، حيث تجمع بصورة تكاد تتشابه بين الاتجاه والإشراق والتفكير والاعتقاد ، وكلها ذات صبغة تأملية نظرية، يختلط فيها الإدراك بالخيال، فلا نقف أولاً على حدود مميزة تعرفنا كيفية اجتياز مرحلة الاتجاه إلى مرحلة الإشراق ثم التفكير فالسلوك... وإذا ما توقفنا لإعادة النظر ومحاولة التطبيق العملي مرّة أخرى اتضح لنا أنّ هذا المران العقلي التأملي المتخيل عند بوذا يفترض إنساناً آلياً يسير على قضبان كالقاطرة، وينتقل آلياً وتلقائياً من لحظة إلى أخرى ويقطع مسافة ما، لينتقل إلى غيرها، فلا ينحرف يميناً أو يساراً بحكم طبيعة الخط الحديدي الذي يحكم حركته، وإذا سلمنا جدلاً بإمكان نجاح البعض جزئياً في رياضة إرادته على النحو التي اقترحه بوذا، فلا يصلح تعميم الحكم على صنوف البشر جميعاً، أي إذا صلح هذا البرنامج في مرحلة عمر الإنسان المتأخرة وبواسطة الرجال الحكماء الذين يغلبون صوت العقل وتضعف شهواتهم وانفعالاتهم، فلا يصلح لمرحلة الشباب المتسمة بالحيوية والنشاط المليئة بالآمال والطموحات<sup>(1)</sup>.

لا يصلح إذاً المنهج البوذي للتقويم الأخلاقي أو تدعيم النفس، ولكن الذي يصلح منهج آخر فطري يراعي طبيعة الإنسان الشهبونية المترنة في آن واحد، المنضبطة بضوابط الدين، ولا حق في هذا المجال أفضل من القرآن الكريم كما قال الله تعالى: " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم"<sup>(2)</sup>.

يقول محمد عثمان نجاتي (وقد اتبع القرآن في تربيته لشخصيات الناس وفي تغيير السلوك، سلوك العمل والممارسة الفعلية والأفكار والعادات السلوكية الجديدة التي يريد أن يغرسها في نفوسها، ولذلك فرض الله تعالى، الامتثال لأوامره والتوجه الدائم إليه في عبودية تامة، كما يعلمه الصبر، وتحمل المشاق، ومجاهدة النفس والتحكم في أهوائها وشهواتها<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>. مصطفى حلمي، المرجع السابق، ص 115-116.

<sup>2</sup>. الإسراء 9.

<sup>3</sup>. محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، ودار الشروق 1982، ص 402.

الدكتور محمد بو الروايح

## الديانة المصرية القديمة:

## كتب الديانة المصرية القديمة وأهم الكتب التي تناولتها:

يتحدث فيلسيان شالي عن اكتشاف النصوص الخاصة بالديانة المصرية فيقول: "وقد اكتشفت في الأوابد المصرية، نصوص ليست لها تلك الصفة المقدسة للتوراة أنزلت على موسى ولكنها تقدّم لنا معلومات ثمينة عن الديانة المصرية فكتاب الأهرامات هو مجموعة من النصوص المنقوشة على الجدران والمقرات والغرف، في الأهرامات الخمسة في صقارة التي يعود أحدها للأسرة الملكية الخامسة، والأخرى الباقية للأسرة السادسة ويشتمل هذا الكتاب على نصوص تستخدم في الطقوس، وكتابات تتصل لمستقبل الملك في العالم الآخر، في هذا القطع الأثرية ما هو قديم جداً، فكتاب النعوش livre des sarcophage يعود إلى عهد الإمبراطورية الوسطى، وهو يتألف من نصوص مكتوبة بالهيروغليفية السريعة موضوعة داخل النعوش الخشبية، ويحتوي على كتابات معدّة لحماية الميت من الأخطار المهدّدة له في العالم الآخر، ولإتاحة العيش له فيها بسلام، أما كتاب الموتى فيعود إلى الإمبراطورية الجديدة، وقد جمعت فصوله على ملفات من البابيروس كانوا يصنعونها ضمن الأقمشة التي يلفون بها المومياءات، وكانت نسخة الأرقى والأثمن محاطة بالصفحات برسم أو رسوم تزيينه ويتألف هذا الكتاب بشكل خاص من نصوص سحرية وصلوات، متصلة ليستقبل الموتى من الدار الآخرة<sup>(1)</sup>.

أما الكتاب الهام جداً فهو كتاب العالم الألماني Ermanil بعنوان ما ترجمته La religion des égyptiens (ديانة المصريين)، ويمكننا أن نقرأ أيضاً عرضاً موجزاً ولكنه ممتاز للمؤلف Kreglinger في الكتاب الذي عنوانه "دراسات حول أصل وتطور الحياة الدينية والفصل المتعلق بالدين من كتاب " Les peuples de l'orient méditerranéen ، الذي ألفه Etienne driation وجاك فوندييه jacques vandier وهو أحدث الكتب التي تتيح لنا أن نعيد وضع المشكلة الدينية في الإطار الذي يقوم فيه التاريخ العام لمصر القديمة<sup>(2)</sup>.

**الآلهة في مصر القديمة:** لا شك أنّ الديانة المصرية القديمة متعدّدة الآلهة، وإن كان بعض المؤرخين قد حاول توجيهها إلى عبادة الإله الواحد، وكان كلّ واحد من الآلهة إلهاً محلياً، ربّما كانت تحوّلًا لحيوان مقدّس، وطوطما للقبيلة

<sup>1</sup>. فيلسيان شالي، المرجع السابق، ص 50.

<sup>2</sup> - فيلسيان شالي 50-51.

## الدكتور محمد بو الروايح

الخالية، وكان له في محلته كلّ السلطات، ثمّ اتحدت البلاد [أي مصر القديمة]، ففرضت الأسرة الحاكمة عبادة إلهها الحامي في كل مكان متبنية معه، كآلهة إضافية، تلك الآلهة المحلية<sup>(1)</sup>.

ومن بين أهم آلهة مصر القديمة أوزيريس وزوجته إيزيس وابنه هوروس.

يقول فيليسان شالي: "ثمّ إنّ أوزير إله busivis في الدلتا موهي (وحد) مع ممفيس وأبيدوس، ومع إلهين للموتى، وهذا ما جعله إله الآخرة، وتقيم المعتقدات الشائعة بينه وبين أخيه سيت seth شيئاً من العدا، وهذا الأخير هو إله مصر العليا<sup>(2)</sup>.

ولأوزيريس أسطورة فيها كثير من الخرافة والطرافة يرويها فيليسان شالي بقوله: "ويمكن أن نلخص أسطورة أوزيريس، على اختلاف تفاصيلها في الروايات المتعددة، فيما يلي: "كان أوزيريس وريثاً للإمبراطورية تضم الأرض كلها، وكان يحكمها ملك طيب صالح ذلك أنّه وقف فيها المارك والنزاع وأشاع العدل، وعلم الناس الصناعات والفنون ونقل الناس من البربرية إلى الحضارة، ولسوء الحظ فإن أخاه seth أو typon في الرواية اليونانية يحسده فيقتله، ويمزق جسده أربعة عشر قطعة، لكن إيزيس، زوجة أوزيريس وأخته جمعت قطعه المبعثرة، وأعدت إليها الحياة ولما كانت نائمة على الجثة التي بعثت حية، حملت بهورس وريته بصعوبة، وهي محتفية في مستنقعات الدلتا ولكن هوروس كبر و ناضل ضد سيت وانتصر وانتقم<sup>(3)</sup> لأبيه وكان أن أوزيريس أصبح يحكم مملكة الموتى<sup>(4)</sup>، وإلى جانب الآلهة المهمة في مصر القديمة، المتمثلة في أوزيريس وإيزيس وهورس أو حورس هناك آلهة أخرى دونها في الأهمية وهو الإله رع râ إله هليوبوليس وهو إله الشمس الطالعة، وأكبر الآلهة الشمسية، ويقال إنّّه ينتقل في السماء على زورقين، أحدهما لليل والآخر للنهار<sup>(5)</sup>.

وإلى جانب رع هناك الإله رمون وهو إله المدينة الصغيرة طيبة، و كان أول الأمر إله غامض يعبد في معبد تافه، ولكن عندما أصبحت طيبة هي العاصمة، أصبح هو أول الآلهة<sup>(6)</sup>.

## التزعة التوحيدية في مصر القديمة:

1. المصدر نفسه، ص58..

2. المصدر نفسه، ص59.

3. المصدر نفسه، ص59.

4. - المصدر نفسه، ص59.

5. المصدر نفسه، ص60.

6. المصدر نفسه، ص60.



## الدكتور محمد بو الروايح

وقد بدأت هذه النزعة التوحيدية في عهد الأسرة الثامنة عشر أو في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، حيث وجد ملك ذو نزعة مثالية نبيلة، ويتميز بطاقة عجيبة، هو أمنحوتب الرابع (أو أمينوفيس الرابع) وأراد أن يدخل عقيدة التوحيد الإلهية<sup>(1)</sup>.

وقد تبنى أمنحوتب الرابع (اخناتون) إلهاً ليس أساسياً، ولكنه وحيد، وهو إله كان حتى ذلك الحين قليل الأهمية، اسمه آتون (أو خاتون) هو تجسيد لقص الشمس<sup>(2)</sup>. ولما كان أمنحوتب الرابع لا يستطيع القيام بهذا الإصلاح إذ ظلّ يعيش في طيبة، حيث يبرز تأثير كهنة آمون كبيراً، فقد ترك هذه العاصمة منذ السنة الرابعة من حكمه، وأنشأ في مصر الوسطى مدينة جديدة هي آخت خاتون أي أفق القرص الشمسي وهي الآن تل لعمارنة<sup>(3)</sup>.

وفي مصر الوسطى يبذل أمنحوتب الرابع أقصى جهده لمحو اسم آمون ومن دون أن يمحو أسماء الآلهة الأخرى، قضى بمنع عبادتهم، وترك حتى اسمه هو الدال على معنى: آمون راض، واتخذ اسم اخناتون الدال على معنى ألق خاتون.

والمهم أنّ اخناتون قاد ثورة دينية عنيفة في مصر القديمة وكان من بواعثها:

1- محاولة اخناتون القضاء على قوّة الكهنة السياسية.

2- محاولة القضاء على السّمت الطبيعي - أي نسبة إلى طيبة - من الديانة بغية جعلها في متناول

غير المصريين في الإمبراطورية بمعنى أنّه أراد إقامة ديانة عالمية<sup>(4)</sup>، تتجاوز حدود مصر القديمة.

<sup>1</sup>. فيليسيان شالي، المرجع السابق، ص 61.

<sup>2</sup>. المصدر نفسه، ص 61.

<sup>3</sup>. المصدر نفسه، ص 62.

<sup>4</sup>. المصدر نفسه، ص 62.